

# الحركة السلفية - الجهادية

---

كاثرين زيمرمان

---



## عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © ٢٠١٧

[www.bayancenter.org](http://www.bayancenter.org)

[info@bayancenter.org](mailto:info@bayancenter.org)

## الحركة السلفية-الجهادية

كاثرين زيمرمان \*

### خلاصة تنفيذية:

إن الولايات المتحدة الأمريكية تخسر الحرب التي شنتها ضد عدو أساءت فهمه لعقود؛ إذ إن تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، والجماعات السلفية-الجهادية التي تهدد الولايات المتحدة هي اليوم أقوى وأذكى وأكثر مرونة مما كانت عليه في ١١ أيلول ٢٠٠١، فالانتصارات التي حققها الأمريكيون في ساحة المعركة ضد داعش وتنظيم القاعدة، ما هي إلا انتصارات تكتيكية ومرتبكة على الرغم من التقدم الذي تحززه، فأمريكا لم تفهم جيداً كنه التهديد الناجم عن المعارك البعيدة والمتناثر في أنحاء الشرق الأوسط أو جنوب أفريقيا وجنوب آسيا، ويكشف العنف الناجم عما يسمى بعمليات "الذئب المنفرد" أجلياً أن الولايات المتحدة أبعد ما تكون عن كسب الحرب التي شنتها منذ ١٦ عاماً.

إن الحركة السلفية-الجهادية تهدد الولايات المتحدة والغرب والمجتمعات الإسلامية؛ فهي ليست جماعة محددة أو أفراداً، وتستمد قوتها من أيديولوجيتها التي تساعد على توحيد شبكة الأفراد والجماعات والمنظمات التي تسعى إلى تحقيق الهدف العالمي المشترك وهو تدمير المجتمعات الإسلامية الحالية بالقوة وإقامة ما تعده المجتمع الإسلامي الحقيقي. هذه الشبكة هي القاعدة الجهادية-السلفية التي تعد المصدر الرئيس لقوة تنظيم القاعدة وداعش، فإذا ما تم القضاء على هذين التنظيمين فإن هناك جماعات جديدة ستولد من رحم هذه الحركة. وتأسيساً على ذلك فإن هذا المظهر الذي تتجسد فيه الحركة السلفية-الجهادية هو الهدف المناسب للحرب التي تشنها الولايات المتحدة.

إن أيديولوجية السلفية-الجهادية الحالية، التي تعود جذورها إلى الستينيات من القرن المنصرم، تتبنى رؤية مفادها أن الواجب على كل مسلم حقيقي أن يعمل على إعادة إقامة الخلافة كما كانت موجودة في السنوات الأولى من الإسلام بالقوة. وهذه الأيديولوجية توفر لأعضاء الحركة السلفية-

١. lone-wolf هو الشخص الذي يرتكب أعمال عنف في دعم مجموعة، أو حركة، أو أيديولوجيا، ولكن يفعل ذلك وحده، خارج عن هيكل القيادة ودون مساعدة مادية من أي جماعة، وعلى الرغم من أن الذئب المنفرد يعمل لوحده إلا أنه متأثر أو يدافع عن أيديولوجية الجماعة ومعتقداتها. (المترجم).

الجهادية عقيدة عسكرية-سياسية استراتيجية، وهي تتجاوز أي فرد أو جماعة، وإن الطبيعة العالمية للأهداف الاستراتيجية للسلفية-الجهادية تجعل من المستحيل أن تنقسم الحركة أو تهزم، باستثناء تلك الأجزاء من القاعدة التي تهاجم الولايات المتحدة مباشرة؛ لأن استراتيجية الولايات المتحدة تركز على هذه الأجزاء فقط، وتتقدم الانتصارات المحلية للجماعات السلفية-الجهادية تلك الحركات العالمية؛ إذ ترتبط المكونات المختلفة للقاعدة السلفية-الجهادية؛ وهذا ما يجعل حتى الجماعات التي تتحاشى مهاجمة الولايات المتحدة أن تعمل على تعزيز جهود تلك التي تشن الهجمات عليها؛ ومن هنا فإن الولايات المتحدة لا تستطيع هزيمة التهديد العالمي من دون هزيمة الجماعات المحلية.

إن القوة الحالية للحركة السلفية-الجهادية تنبع من علاقتها مع المجتمعات السنية، إذ طالما ركزت الحركة على كسب تلك المجتمعات حتى تقبل أيديولوجيتها وتدعمها طوعاً، وقد حققت في الآونة الأخيرة نجاحاً داخل تلك المجتمعات الذي قد يترجم إلى مكاسب طويلة الأجل؛ فقد هيأت الثورات التي بدأت مع الربيع العربي ٢٠١١ وانتشرت في أماكن أخرى الظروف التي عملت على زيادة الدعم الشعبي للجماعات السلفية-الجهادية، إذ إن الثورات التي قامت في البدء ضد الدول بسبب المظالم الشعبية، أخذت تعمل على الإضرار بالنظام المجتمعي في تلك البلدان. ومع انتشار الصراع رزح السنة تحت التهديد الحقيقي والمفترض من الشيعة والكرد والفصائل المعادية للإسلاميين وروسيا وجهات أخرى؛ ومن أجل الوقوف بوجه هذه التهديدات باتت المجتمعات السنية على استعداد لقبول وجود الجماعات السلفية-الجهادية لا بل دعمها أيضاً في بعض الحالات.

لا تستطيع الولايات المتحدة شق طريقها للخروج من هذه الحرب من جهة، ولا هي ستهزم الحركة من خلال مواجهة أيديولوجيتها أو الرسائل التي تبثها من جهة أخرى، فالحركة السلفية-الجهادية هي أقوى اليوم؛ بسبب الظروف الراهنة في العالم الإسلامي التي دفعت المجتمعات السنية إلى قبول المساعدة ممن يقدمها من أجل البقاء؛ وتأتي قوتها من علاقتها مع السكان، التي ستظل الجماعات تستثمرها طالما ظلت الظروف الحالية قائمة.

إن الحركة السلفية-الجهادية تركز على السكان؛ ومن أجل النصر يتعين على الولايات المتحدة التركيز، حيث تركز الحركة من أجل فصم عرى العلاقات القائمة بين السكان السنة والقاعدة السلفية-الجهادية، ومن ثم فإن التركيز على السكان هو الطريق الوحيد الذي سيؤدي إلى النصر.

## المقدمة

إن الولايات المتحدة تخسر الحرب على الإرهاب، على خلاف الاعتقاد السائد لدى الكثير من الأمريكيين الذين يرونها تنتصر، إذ إن حقيقة عدم وقوع أي هجوم على التراب الأمريكي على غرار هجمات ١١ أيلول قد خلق شعوراً زائفاً بالأمن، وقيام هجمات أورلاندو وسان بيرناردينو بوصفها هجمات "الذئب المنفرد" عزز من الرواية غير الدقيقة بأن القاعدة والدولة الإسلامية للعراق والشام (داعش) هي بطريقة أو بأخرى "في حالة هروب".

وعلى وفق مسؤولين أمريكيين كبار، فإن هذه الجماعات كانت لمدة سبع سنوات على الأقل "في حالة هروب"، وهي "حقيقة" تثبت زيف الإدعاءات الأمريكية بالنصر؛ وما يزيد الوهم بالنصر هو الانتصارات التكتيكية التي حققتها الولايات المتحدة في ساحات القتال لكل من العراق وسوريا وليبيا، ولكن إذا كان ينبغي أن نتعلم شيئاً من ١٦ عاماً من الحرب، فهو إننا لا نستطيع النأي بأنفسنا والخروج من هذه المشكلة.

ولبدء في الطريق المؤدي للنصر يتعين على الأمريكيين إعادة النظر بتعريف العدو؛ لأن الحركة العالمية للسلفية-الجهادية هي التي تشن الحرب ليس جماعات، وليس أيديولوجية، إلا أن هذه الحركة هي مجموعة من الأفراد انضمت إليهم الأيديولوجية السلفية-الجهادية، والجماعات المنظوية لها، فهذه الخبرات المشتركة تجسدت في قوة متماسكة تتجاوز الفرد أو الجماعة، وما تنظيم القاعدة إلا مظهر واحد من مظاهر هذه الأيديولوجية والحركة التي يعود ظهورها إلى عقود خلت، لأن الحركة السلفية-الجهادية العالمية كانت وما تزال أكثر من مجرد تنظيم القاعدة أو داعش، فهي تضم أفراداً من جميع أنحاء العالم، يؤمن الكثير منهم بالسعي إلى تدمير المجتمعات الإسلامية الحالية وإحلال محلها مجتمع إسلامي حقيقي من خلال استخدام القوة المسلحة؛ ومن هنا فإن أمريكا والغرب لا يمتلكان فرصة للنصر مالم يدركا أن هذه الحركة هي خصمهم الحقيقي.

لذلك فالحاجة ملحة لأن تنظيم القاعدة، والدولة الإسلامية، والحركة السلفية-الجهادية العالمية مجتمعين هم اليوم أقوى مما كانوا عليه في أي وقت مضى؛ إذ تنشط الجماعات السلفية-الجهادية في ست دول مضطربة على الأقل هي: (العراق، وسوريا، واليمن، والصومال، وليبيا، ومالي) وفي أربع دول ضعيفة هي: (أفغانستان، ومصر، وتونس، ونيجيريا). فهذه الجماعات إما تتولى الحكم بالوكالة وإما تسيطر على الأقاليم في نصف هذه الدول على الأقل، ويسعى كل من داعش وتنظيم القاعدة إلى بناء قدرات هجومية قاتلة، من أجل إستهداف الغرب، وقد أثبت ذلك الهجوم الإرهابي في مانشستر؛ لذلك فإن أوروبا والولايات المتحدة يواجهان مستوى غير مسبوق من الهجمات الإرهابية التي تسيرها تلك الجماعات أو تلهمها، فهذه الحالة ليست نجاحاً، أو طريقاً مسدوداً، أو فوزاً بطيئاً، بل لا تزال أنها أقل من أن تجسد عدواً في «حالة هروب»؛ لذلك هي حالة فشل.

## مواصلة النهج مدة طويلة جداً

لم تتغير استراتيجية مكافحة الإرهاب التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ الهجوم على أفغانستان بعد هجمات ١١ أيلول، إذ ركز، كل من الرؤساء جورج دبليو بوش، وباراك أوباما، ودونالد ترامب، على هزيمة الجماعات الإرهابية عسكرياً من خلال الجمع بين الضربات الموجهة والعمليات الأخرى؛ من أجل حرمانها من الملاذات التي تسيطر عليها، ومن هنا فقد بذل كل من بوش وأوباما جهوداً محدودة لمواجهة جهود السلفية-الجهادية في تجنيد المقاتلين، ولم يكن لها أي تأثير، فقد ركزت كل هذه الجهود على مهاجمة جماعات تم تحديدها بدقة والأفراد المرتبطين بها. وبصرف النظر عن التجارب المحدودة لمكافحة التمرد الخطيرة في العراق وأفغانستان، فقد سعى جميع الرؤساء الثلاثة إلى شق طريقهم للخروج من هذه المشكلة، ولم يعترف أي أحد أو يقرّ بأن الحركة السلفية-الجهادية العالمية هي التهديد الحقيقي؛ لذا لم يتخذ أي منهم خطوات مجدية لمواجهةها.

من الضروري أن نتأكد من أن استخدام القوة العسكرية الأمريكية ضد جماعات مختارة يولد تأثيرات إلا أنها مؤقتة، أما الانتصارات المتحققة بشق الأنفس فسرعان ما تتبدد؛ لأن الأيديولوجية السلفية-الجهادية توفر مذهباً استراتيجياً للمنظمات على الصعيد العالمي التي تستمر وراء تدمير أي جماعة، فالتجارب المشتركة في ساحة المعركة، وفي التدريب، وفي الأسر، وفي أماكن أخرى تعمل على بناء شبكات بشرية تتجاوز العلاقات التنظيمية، أما هذه التجارب هي بمنزلة مختبرات يقوم فيها السلفيون-الجهاديون بتحسين وسائلهم وأساليبهم، وأن المرونة العميقة للحركة الناجمة عن العقيدة الشاملة، والخبرات المشتركة، والطابع العالمي، هي السبب الكامن وراء استمرار خسارة الولايات المتحدة الحرب.

## لماذا الآن؟

يعتقد الجهاديون-السلفيون أن المشاركة في الصراع المسلح لإقامة نظام إسلامي حقيقي هو أمر واجب على جميع المسلمين الحقيقيين، وعلى الرغم من أن الأسس الدينية للسلفية-الجهادية موجودة منذ القرن الثالث عشر على الأقل، إلا أن الحركة الإسلامية التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر وصولاً إلى القرن العشرين أحييت هذه الحجج، التي رفضها المسلمون إلى حد كبير، لأنها متطرفة، أو في بعض الحالات، عدوها بدعة.

ويستند بعضهم إلى هذه الحقائق ليذهب إلى القول إن المشكلة متأصلة في الإسلام- لا بل يذهب البعض إلى القول إن الإسلام نفسه هو المشكلة، مثل هذه الحجج تتجاهل حقب طويلة من التاريخ، كان خلالها المسلمون معنيين بشؤونهم الخاصة، وغالباً ما كانوا أكثر سلاماً مع إخوانهم المسيحيين في أوروبا، وبالتأكيد من دون بذل جهود جادة لمهاجمة الغرب.

فيما يرى بعضهم الآخر - بنحوٍ خاطئ أيضاً- أن القوة الحالية للحركة تجسد التغيير الجوهري الذي طرأ في طابعها أو طريقة أدائها، لكن الحركة السلفية-الجهادية اليوم هي ليست ظاهرة جديدة، ولم تتغير أيديولوجيتها جذرياً في السنوات الأخيرة، إذ إن التغيّرات الأخيرة التي طرأت على رسائل تلك الأيديولوجية، ووضعها في اللغة العامية وتوزيعها من خلال وسائل جديدة، ما هي إلا وسائل جديدة للتوزيع، وليست أسباباً دفعت لتوسيع الحركة السلفية-الجهادية. فعلى الرغم من نشر تنظيم القاعدة أيديولوجيته على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) إبان وجود رجل الدين المتوفى أنور العولقي -الملمم الروحي لتنظيم القاعدة كما تراه أمريكا-، واستخدام داعش لوسائل التواصل الاجتماعي، إلا أن الحركة العالمية كانت قوية أيضاً في المناطق التي لا يوجد فيها (الإنترنت)، وإذا كانت رسالة الحركة ودعايتها لم تتغير إلا بنحوٍ طفيف في العقد الماضي، فإن ثروتها قد ازدادت كثيراً منذ عام ٢٠١١؛ ومن هنا يتعين علينا النظر من زاوية أخرى للوقوف على أسباب تزايد قوة الحركة اليوم.

ويكمن جزء من التفسير في أن الحركة السلفية-الجهادية تتعلم من إخفاقاتها وأخطائها، فلما تشكلت الحركة المعاصرة إبان الجهاد الأفغاني، ساعدت على إتاحة تعلم تجريبي عمل على صقل الفكر الاستراتيجي لها. وتجمعت الجماعات السلفية-الجهادية مراراً وتكراراً بعد أفغانستان في الجزائر، والبوسنة، وطاجيكستان، والصومال، ومصر، والشيشان، مرة أخرى في أفغانستان ثم في العراق، ولكن في كل مرة ظلت معزولة، وقد استوعبت الحركة تلك الدروس.

يدرك القادة السلفيون-الجهاديون أن قوة الحركة تكمن في علاقتها مع المجتمع الإسلامي، وطالما تسعى الحركة إلى شتّى تمرّد عالمي، فهي مهمة تتطلب دعماً شعبياً -أو على الأقل تسامحاً شعبياً معها- من أجل إنهاء عزلتها في العالم الإسلامي، فصحيح أن قادة الحركة قد ركزوا على العلاقة مع المجتمع لعقود، ولكن الجهود السابقة إما كانت غير مجدية وإما قصيرة الأجل؛ إذ رفضت المجتمعات السنية المحلية الأيديولوجية السلفية الجهادية مراراً؛ لأن التفسير المحافظ جداً للإسلام كان يتعارض مع العرف المحلي، لذا لم تجد الدعوة إلى الجهاد العنيف أي صدى، وقد جاءت التكتيكات القسرية وأنظمة حكم البديلة والجديدة التي تبنتها بنتائج عكسية، وقد توفي أغلب الزعماء السلفيين-الجهاديين الذين فشلوا، وتعلم الناجون منهم دروساً من كل تلك المخاضات.

ومع ذلك فإن السبب الحقيقي الذي يكمن وراء النجاح الحالي للحركة السلفية-الجهادية هو التحول في ظروف العالم ذي الأغلبية المسلمة منذ العام ٢٠١١، فالأحداث التي لا دخل للحركة فيها أزالَت عقبة رئيسة أمام قدرتها في بناء الدعم المحلي، من خلال إفساح المجال لها لتحشيد دعم المجتمعات السنية في الصراعات المحلية والوطنية والإقليمية التي تسببت وأنتجت بالربيع العربي.

إن عدم الرضا عن الحكم في أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أدى إلى انتفاضات شعبية



زعمت استقرار الأقاليم المجاورة، وسرعان ما تحولت الدول فيها إلى دولة ذات طبيعة هوبزية<sup>٢</sup> في الكثير من الأماكن، وسرعان ما تحول الصراع الداخلي في كثير من هذه الدول من مسألة حقوق سياسية إلى مسألة بقاء أفراد أو جماعات. وهنا كانت الحركة، -التي درس قادتها النكسات السابقة من أجل كيفية تحسينها- مستعدة لتقديم المساعدة إلى المجتمعات التي شعرت نفسها فجأة تواجه تهديداً وجودياً، وقد حظيت بالقبول من خلال توفيرها مستوى محدوداً من الحكم والأمن في الأماكن التي انهارت فيها الحكومات وقوات الأمن، أو أصبحت تقف بالضد من الشعب الذي حكمته؛ وهكذا حازت الحركة السلفية-الجهادية براءة على فرصة غير متوقعة، وهي الآن في وضع لم يسبق لها مثيل منذ عقود على وجودها، إذ تقف على أعتاب نجاح واسع النطاق.

إن استراتيجية مكافحة الإرهاب الأمريكية قد تجاهلت هذه التحولات تماماً تقريباً، وهي ما تزال تركز على تعطيل العقد التي من خلالها يتم شن الهجمات الخارجية أو تعطيله، والحد من القوة العسكرية لجماعات مختارة، وقتل قادتها. فجهود صناع السياسة الأمريكية الرامية لجعل الحرب تقتصر على الاستهداف المحدود لتلك الجماعات ينطوي على عدم تعريف العدو بنحو دقيق؛ إذ من الممكن استهداف الأفراد أو الشبكات، ولكن ليس الحركة؛ لذا فإن عناصر القوة الأمريكية تعمل الآن ضد جزء يسير من الحركة، وقد تعمل على تدمير هذا الجزء، لكنها لن تدمر الحركة أو حتى تتمكن من هزيمتها، لذا يتعين على الولايات المتحدة أن تضع استراتيجية جديدة لمواجهة الحركة ككل، وليس فقط تنظيم القاعدة أو داعش فحسب أو حتى الجماعات المحلية التي يبدو أنها تمثل التهديد الأكبر، ومن هنا فإن التركيز الاستراتيجي على عناصر محددة الحركة فقط -من تنظيم القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية إلى الأيديولوجية- لم يكن في محله. إذ يجب أن تستند الاستراتيجية على فهم الحركة السلفية-الجهادية بدءاً من أيديولوجيتها مروراً بنقاط القوة العسكرية وانتشارها في الأوساط الشعبية وإنهاءً بطبيعتها حكمها، يجب أن تنطلق من الفهم الذي يستند إلى سؤال مفاده، لماذا اكتسبت الحركة هذه القوة مؤخراً على الرغم من تأسيسها لسنوات عديدة، وهذا يتطلب البدء بإعادة تعريف العدو على أسهل مستوى.

٢. نسبة إلى توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩) فيلسوف إنجليزي عاش في القرن السابع عشر، في حقبة نمازت بالاضطرابات؛ الأمر الذي أثر على كتابته بصدد العقد الاجتماعي إذ برر السلطة المطلقة بوصفها أفضل حالاً من الفوضى. (المترجم).



## فهم الحركة السلفية-الجهادية

يعمل جانب كبير من الحركة السلفية-الجهادية في مجال السياسة الرمادي، فهي لا تشكل تهديداً مباشراً للأميركيين، ولا يقوم معظم أعضائها بالتخطيط بنشاط للإضرار بالولايات المتحدة، وقد تتحدث الجماعات المحلية والمنظمات والأفراد ضد الولايات المتحدة وتشر المشاعر المعادية لها، بل تشجع الهجمات ضدها أو ضد الغرب، ولكنها لا تقوم بذلك بنفسها؛ وقد يسهل أعضاء مثل هذه الهجمات ضد الولايات المتحدة أو الغرب، ولكن لن يشاركوا مباشرة، وقد قادت هذه الحقائق إدارة أوباما إلى تضييق تعريف التهديد ليقصر على الجماعات والأفراد الذين يخططون لشن الهجمات فقط، إلا أن ذلك التضييق في تعريف التهديد يحول دون معرفة كنه العلاقة الخطرة بين مدبري الهجوم وجمهور الحركة السلفية-الجهادية، الذين -أي الذين يشنون الهجمات- لا يمكنهم البقاء دونها وهي تتمكن من استبدالهم بسهولة حينما نقضي عليهم.

### ما وراء القاعدة وتنظيم داعش: القاعدة السلفية-الجهادية

تتجلى الحركة السلفية-الجهادية بوصفها شبكة مادية من الناس والجماعات والمنظمات ذات الأيديولوجية المتشابهة التي تعمل من أجل تحقيق الأهداف العامة المشتركة، وتستمد الحركة قوتها من أيديولوجيتها التي توجه جهود مختلف الجماعات والمنظمات صوب تحقيق هدف مشترك حتى من دون التنسيق المباشر فيما بينها. وتؤلف الجماعات السلفية-الجهادية المحلية والمنظمات والأفراد، شبكة عابرة للحدود الوطنية يمكن التعرف عليها حتى حينما تحاول إخفاء دورها فيها. وهذه الأجزاء المكونة للحركة ليست منظمة بنحو هرمي وهي تتفاعل باستمرار بطرق معقدة، ولكن كوحدة كاملة تشكل مصدراً أساسياً لقوة للجماعات الأساسية التي صنفها الولايات المتحدة كجماعات معادية وهي: تنظيم القاعدة وداعش؛ ومن هنا يجب على الولايات المتحدة توسيع تعريفها للعدو ليشمل هذه القاعدة السلفية-الجهادية.

يحتوي التقليد الإسلامي على مفهوم القاعدة المحلية يمكن أن تخدم القضية العالمية الكبرى، وترجع جذور هذا التقليد إلى الأنصار الذين رحبوا بالنبي محمد (ص) بالمدينة، والأنصار هو اسم يطلق على القبائل المحلية التي دعمت النبي محمداً حينما رحبوا باتباعه واستقبلوهم في منازلهم في المدينة بعد الهجرة من مكة، فقد قبلوا بالإسلام وقاتلوا جنباً إلى جنب مع المسلمين حتى بعد وفاة النبي؛ لذا فالحركة السلفية-الجهادية تحافظ على هذا المفهوم والممارسة المتعلقة بالقاعدة المحلية الذين دعموا المهاجرين (أو المقاتلين الأجانب) حتى يومنا هذا.

ويستمد كل من تنظيم القاعدة وداعش مرونتهما من القاعدة السلفية-الجهادية، ذات الطبيعة العابرة للحدود الوطنية وذات الجذور المحلية الراسخة؛ إذ يجدان صفوفهما منها، ويعتمدان

عليها لتلبية العديد من متطلباتهما العملية، وهي توفر أيضاً إمكانية الولوج إلى الصراعات المحلية، لذا فإن تنظيم القاعدة وداعش، غالباً ما يكونان قادرين على تشكيل أنفسهما في مناطق جديدة، إما من خلال الإكراه وإما من خلال استقطاب مجموعة محلية، فعلى سبيل المثال قام تنظيم القاعدة بتنظيم العلاقات ودعم الجماعات الإسلامية الصومالية المحلية لأكثر من عقد من الزمان قبل أن يبدأ بتأسيس دولة تابعة له في الصومال، وولدت داعش مسارح عمليات مثل ليبيا عن طريق كسب ولاء عدد قليل من القادة الرئيسيين واستقطاب الشبكة المحلية الموجودة؛ لتتحول فيما بعد إلى فرع خارجي لداعش، وفضلاً عن ذلك فإن القاعدة السلفية-الجهادية تؤدي دوراً ميسراً لنقل الناس والموارد عبر المناطق، وتعمل على توفير الموارد من خلال توفير الإمدادات المحلية أو القدرات؛ والأهم من ذلك، هي على استعداد لأن تكون بؤرة لاستقطاب القادة والمقاتلين الذين يمكن الاستفادة منهم. إن قدرة إعادة توليد المقاتلين هي قدرة حاسمة لكل من تنظيم القاعدة وداعش وتفسر السبب الكامن وراء بقاء كلتا المجموعتين نابضتين بعد أن قتلت الولايات المتحدة وحلفاؤها الكثير من مقاتليها وقادتها.

وتعمل القاعدة السلفية-الجهادية المحلية على تحقيق أهداف كل من تنظيم القاعدة وداعش، لأن نجاح هذه الجماعات على المستوى المحلي يعمل على تحويل المجتمع الإسلامي إلى مجتمع إسلامي عادل على وفق رؤيتها ويعمل على تحقيق أهداف الجماعات العابرة للحدود الوطنية التي تسعى إلى توحيد هذه الجيوب في أنظمة يحكمها حاكم واحد، ويعتقد كل من تنظيم القاعدة وداعش بعدم إمكانية تحقيق الأهداف المحلية وإدامتها، إلا من خلال تبني أجندة عالمية-تهاجم الغرب وغيره من القوى غير الإسلامية، ويدرك السلفيون-الجهاديون أن الصراع مع العالم غير الإسلامي-ولاسيما الغرب- أمر لا مفرّ منه، قد يتجنب بعض الأفراد أو الجماعات الدعوة إلى مثل هذه الهجمات أو القيام بها، ولكن عقيدتهم نفسها تتمحور على تحديد الغرب كعدو، وربما

٣. ناقش التحليل التاريخي استخدام تنظيم القاعدة للجماعات السلفية-الجهادية واندماجها مع هذه الجماعات للوصول إلى البنية التحتية المحلية، وركز هذا التحليل على قوة القاعدة وليس على قوة الحركة العالمية. ينظر على سبيل المثال:

Combating Terrorism Center, "Al-Qa'ida's Five Aspects of Power," January 15, 2009, <https://www.ctc.usma.edu/posts/al-qaida's-five-aspectsof-power>.

4. Combating Terrorism Center, "Al-Qaida's (Mis)Adventures in the Horn of Africa," US Military Academy, July 2, 2007, <http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2010/06/Al-Qaidas-MisAdventures-in-the-Horn-of-Africa.pdf>.

5. Aaron Y. Zelin, "The Islamic State's Burgeoning Capital in Sirte, Libya," Washington Institute, August 6, 2015, <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/the-islamic-states-burgeoning-capital-in-sirte-libya>.

يرفض بعضهم -وهم قلة- تلقي الدعم للقيام بهجمات تستهدف الغرب، لكن رفض الدعم قد يكون لأسباب عملية وليست أيديولوجية من قبيل الخوف من رد الفعل، ومن ثم فإن الجماعات المحلية والعالمية تعمل جنباً إلى جنب لتحقيق أهداف الحركة السلفية-الجهادية.

إن توليفة الحركة السلفية-الجهادية التي هي خليط بين الجماعات "ذات التركيز المحلي" والجماعات عابرة للحدود مثل القاعدة وداعش هي جزء من قوتها، إذ تسعى الجماعات العابرة للحدود الوطنية، إلى ربط شبكاتها مع الشبكات المحلية، وتثبيت الجماعات في الصراعات المحلية وخلق ثغرات تنفذ من خلالها إلى تلك الصراعات وتعمل على تشكيل جماعات جديدة، وتفضي هذه العملية إلى انطباع وهو أن الجماعات المحلية ربما ترفض الرؤية العالمية للحركة وأهدافها؛ الأمر الذي يجعل العلاقة بين تلك الجماعات والجماعات العابرة للحدود تخضع للقطيعة والتواصل، ومع ذلك، فإن الكثير من التحول وإعادة التحالفات والخلاف بين الجماعات هو أمر تنظيمي أكثر من كونه أيديولوجياً ومنهجياً، وأن التوترات التنظيمية الناجمة عن العوامل الشخصية والخلافات على المستوى العملي هي أمر بديهي في الجماعات البشرية. وهي لا تؤثر انفصلاً أساسياً عن الأهداف الشاملة، وإن انسيابية انتقال الأفراد من الأهداف المحلية إلى الأهداف العالمية هو أمر متأصل في العقيدة السلفية-الجهادية التي تجسدت في الرؤية العالمية التي تتبناها تلك العقيدة، فالخطأ في معالجة الشروخ والانشقاقات داخل الحركة بسبب الضعف هو خطأ استراتيجي يذكيه ويفاقمه البون بين الأفراد والجماعات ذات «التركيز العالمي» الذين يمكن الوصول إليهم والأفراد والجماعات ذات «التركيز المحلي» الذي لا يمكن الوصول إليهم.

### الأيديولوجية توحد القاعدة

إن النتيجة المتوقعة هي أن تنظيم القاعدة وداعش هما ليسا وحدهما، إذ إن الفصيل الأوسع في العالم ذي الأغلبية المسلمة يسعى إلى نشر تفسير الإسلام «الحقيقي» وفي الوقت نفسه إنشاء أنظمة سياسية على وفق حكم الشريعة<sup>٦</sup>، وهذا الفصيل هو السلفية، السلفيون هم المسلمون السنة المتشددون الذين يعتقدون أن المجتمع الإسلامي -أي الأمة- قد ابتعد عن الإسلام الحقيقي<sup>٧</sup>

٦. يؤكد السلفيون على القضاء على الشرك، (أو هنا إسناد السلطة الإلهية إلى رجل أو مجموعة من الرجال) والتأكيد على التوحيد (وحدانية الله).

٧. إن مصطلح «الإسلام الحقيقي» أو «المجتمع الإسلامي الحقيقي» كما هو مستخدم في هذه الورقة يجب أن يفهم على أنه التفسير السلفي الجهادي للإسلام، واستخدام هذا المصطلح لا يعني أن الإسلام في الممارسة اليوم هو نجس أو منحرف عن الدين.

الذي يعرفونه على أنه الإسلام الذي كان مطبقاً في زمن صحابة الرسول وأتباعه الأوائل<sup>٨</sup>، ويرى السلفيون على وجه التحديد ضرورة العودة إلى أسس الإسلام الواردة في القرآن والسنة (أقوال وأفعال الرسول)؛ كي تعود الأمة قوية كما كانت في العصر الذهبي<sup>٩</sup>، وإن هؤلاء السلفيين هم الذين التزموا باستخدام القوة المسلحة لتحقيق هذه الأهداف، بما في ذلك كبار قادة داعش وتنظيم القاعدة، يعدون من السلفيين الجهاديين، أما الآخرون فليسوا أعداء أميركا<sup>١٠</sup> ولا يهددوننا طالما هم لا يدعمون السلفيين-الجهاديين.

إن السلفية جزء صغير من الإسلام السني، والسلفية الجهادية بدورها هي جزء صغير من السلفية، وكما هو الحال بالنسبة للأديان المعاصرة كافة، فإن ممارسة الدين واحترامه يختلف اختلافاً كبيراً بين أوساط المسلمين، وكذلك الحال بالنسبة لتطبيق هذه القيم في النظام السياسي والحكم، فطيف الإسلام السني يتراوح بين الاتجاه العلماني- اللاديني كما تضمن ذلك الدستور التركي الذي طبق إبان حكم مصطفى كمال أتاتورك، إلى الاتجاه العلماني-الديني، وينص على ذلك أيضاً الدستور المصري. ويوجد كذلك إسلاميون سياسيون، مثل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وإسلاميون يتبنون العنف، مثل حماس في غزة، ويشمل الطيف السلفي من أولئك الذين يمتنعون عن السياسة والعنف، والمعروفون باسم السلفية المنعزلة<sup>١١</sup>، إلى هؤلاء الذين يسعون إلى السلطة السياسية من أجل إحداث التغيير المعروفين باسم السلفيين السياسيين ومنهم حزب النور المصري،

٨. إن مصطلح «السلفي» يأتي من العبارة العربية السلف الصالح للإشارة إلى الأجيال الثلاثة الأولى من المسلمين بما في ذلك صحابة النبي.

9. Marc Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004).

١٠. إن مفهوم «الجهاد» معقد بالإسلام، ويعني المفهوم في اللغة العربية «الجهاد في سبيل الله» ولا يعني بالضرورة العنف، أما فإن هنا الجهاد يستخدم أفعال العنف باسم الله، وتستخدمه السلفية الجهادية لتصنيف الأفراد السلفيين، ويعتقدون أن الجهاد العنيف هو التزام ديني. للحصول على معلومات أكثر عن الجهاد في العصر الحالي ينظر:

Habeck, *Knowing the Enemy: Jihadi Ideology and the War on Terror* (New Haven, CT: Yale University Press, 2006) .

١١. تضم السلفية المنعزلة العلماء والنشطاء والأتباع الذين يسلكون السياسة لتطبيق نسخة متشددة من الإسلام، التي يعتقدون أنها تأتي عبر اتباع الأفكار والممارسات التي سار عليها المسلمون الأوائل، ومعظم السلفيين ينضون تحت هذا التصنيف، ويتركز القسم الأكبر من هؤلاء في المملكة العربية السعودية، فالنظام السياسي الملكي فيها يحافظ على استقراره بسبب دعم هذه الفئة من السلفيين.(الترجم).

12. For more on quietist Salafism, see Jacob Olidort, “The Politics of ‘Quieti/st’ Salafism,” Brookings Institution, February 2015, [https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/07/Brookings-Analysis-Paper\\_Jacob-Olidort- Inside\\_Final\\_Web.pdf](https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/07/Brookings-Analysis-Paper_Jacob-Olidort- Inside_Final_Web.pdf).

إلى أولئك الذين يبررون استخدام العنف لتحقيق مثل هذه الأهداف وهم السلفية-الجهادية. حتى السلفيون-الجهاديون يختلفون فيما بينهم حول متى وأين وضد من تكون أعمال العنف مبررة لتحقيق أهدافهم؟



إن طيف المعتقدات والممارسات العملية واسعة ومعقدة، ولكن لا تستعصي على الفهم؛ إذ يلتزم جميع السلفين-الجهاديين باستخدام القوة المسلحة لتحقيق أهدافهم المتمحورة على: إنشاء دولة مسلمة حقيقية عن طريق فرض تفسيرهم للتشريعة؛ وفي سياق ذلك يرى السلفيون-الجهاديون أن من واجب المسلمين اليوم إنقاذ الإسلام الذي لوثته البدع على مدى القرون، وأن أسلوب التنقية سيتضمن بالضرورة تبني الجهاد العنيف، لا يوجد حاكم مسلم يرأس مجتمع إسلامياً حقيقياً اليوم على وفق هذا الرأي، فهؤلاء الحكام الذين يتسمنون السلطة قد زعموا كذباً أنها من الله، ويعملون على نشر البدعة ويعززون الردة؛ لذلك فإن تنحية الحاكم هو واجب ديني من أجل إعادة بناء مجتمع إسلامي عادل وحقيقي، ويوسع بعض الأيديولوجيين هذا الالتزام لتبرير الجهاد ضد الغرب بوصفه داعماً لهؤلاء الحكام.

إن مفهوم الالتزام -أي الفرض- يحتل أهمية بالغة في الإسلام، وتنتمي الأعمال الواجبة إلى واحدة من خمس فئات تحكم السلوك في الإسلام هي: الفرض (واجب)، مستحب (يشجع القيام به)، والمباح (محايد)، مكروه (لا يشجع القيام به)، والحرام (ممنوع)، وتنقسم الأعمال الواجبة بدورها إلى تلك الواجبة لكل فرد، وهي فرض عين، وتلك التي هي ملزمة للأمة، وهي فرض كفاية، أي إن فعل البعض منها يكفي لحصول المقصود.

يحدد الإسلام خمسة أعمال أساسية على أنها فرض عين على جميع المسلمين<sup>١٣</sup>، وإن شن الجهاد العنيف ليس من بينها، إذ إنه فرض كفاية - أي إنه واجب فقط على المجتمع فقط في حالة ظروف معينة، إلا أن الأيديولوجية السلفية-الجهادية تعتقد أن الظروف اليوم تحتم أن يكون الجهاد العنيف هو فرض عين على جميع المسلمين، لكن التيار السائد من القادة السنة المتشددين لا يتفقون على ذلك؛ ومن ثم فإن التولي عن شن الجهاد العنيف هو خطئية خطيرة بالنسبة للسلفيين-الجهاديين ولكن ليس على الأغلبية الساحقة من المسلمين السنة.

ولهذا السبب يعتقد السلفيون-الجهاديون أن السبيل الوحيد لإحياء الإسلام الحقيقي هو توجيه أعمالهم بنحو جماعي صارم للشروع بالنضال لنشر الإسلام الذي كان موجوداً إبان عصر النبي والخلفاء الراشدين<sup>١٤</sup>، ويقسمون حياة النبي على ثلاث مراحل على الأقل: مكة I، والمدينة، ومكة II<sup>١٥</sup>. المرحلة الأولى: مكة I هو وقت التسامح لجمع القوة، وينصب التركيز هنا على إيجاد أتباع جدد للجماعة وتطوير قدرتها التنظيمية كجماعة سرية كي لا تتعرض لهجوم مباشر من قبل الدولة. وتحدث مرحلة المدينة، حينما يجب على الجماعة الدفاع عن نفسها، إذ تؤسس الجماعة نفسها في ملاذ يمكنها من خلاله القيام بهجمات لإضعاف الدولة، التي يمكن أن تبدأ فيها الجماعة في تطوير المؤسسات، وتوسيع قدراتها العسكرية. فيما تتضمن المرحلة الثالثة مكة II شن هجوم لتدمير الدولة وإستبدالها؛ وأخيراً، يسعى السلفيون-الجهاديون لمحاكاة السنوات اللاحقة التي تلت وفاة النبي محمد حينما قام الخلفاء الراشدون بتوسيع أراضي المسلمين.

إن أيديولوجية السلفية-الجهادية لها أساس قوي في الفقه الإسلامي والدين الإسلامي إلى حد معين<sup>١٦</sup>، إذ إن النص المستمد من القرآن والحديث يدعم بعض الحجج الأيديولوجية للجهاد-السلفي؛ الأمر الذي يعطيها شرعية واضحة، ومع ذلك فإن السلفية-الجهادية لم تكتسب سوى أقلية من الأتباع، وعلى غرار أشكال العقيدة المتشددة التي تدعو إلى العنف في الديانات الأخرى فهي تفسير هامشي للإيمان؛ وهذا النهج من هذه الأيديولوجية - كما حصل للخوارج الذي أدى

١٣. وهذه هي ١- إعلان الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ٢- الصلاة ٣- الزكاة ٤- الصوم ٥- الحج.  
١٤. الخلفاء الراشدون، هم الأربعة الذين خلفوا النبي محمداً مباشرة وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، الذين في ظلهم توسعت الأراضي الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية لتشمل ما يعرف الآن بإيران والعراق وسوريا والأردن ومصر وأجزاء من تركيا وليبيا.  
١٥. وقد حدد بعضهم مناطق فرعية إضافية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ومكة II. تصورت ماري هيباك على سبيل المثال لتنظيم القاعدة سبعة خطوط استراتيجية.

16 . See Habeck, Knowing the Enemy, chap. 2.

إلى اغتيال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب- قد وصف بأنه بدعة<sup>١٧</sup>.

**نشأة السلفية-الجهادية:** لم تنشأ النزعة السلفية-الجهادية على حين غرة داخل الإسلام، بل ساهمت الظروف إلى حد كبير في تطورها.

إنَّ قتل المسلم لمسلم آخر محرم في الإسلام إلا في حالات خاصة؛ ومن هنا فإن مسألة تحديد من هو مسلم، ومن ثم جواز حمل السلاح ضد الآخرين الذين يطلقون على أنفسهم المسلمين، أثارت بدايات الخط الديني للحجة التي قادت إلى الأيديولوجية السلفية-الجهادية التي هي امتداد للمفاهيم التي حددت بوضوح من هو مسلم، التي أول ما تطورت حينما تقابلت القوى الإسلامية مع بعضها بعضاً، واستخدمت في الوقت الحالي حينما سعت الجهات الفاعلة إلى تحدي الدول التي تدعي أنها مسلمة.

ويرجع العلماء (والسلفيون-الجهاديون) أثر السلفية-الجهادية إلى كتابات أحمد بن تيمية في القرن الثالث عشر<sup>١٨</sup>، حينما أصدر فتوى خرجت على التقاليد الإسلامية وقدذاك إذ أباح استخدام

١٧. المفارقة أنها وصفت أيضاً بدعة من قبل السلفيين الجهاديين في العصر الحديث الذين يعارضون بشدة فكرة أن وجهات نظرهم لها علاقة من مع تلك التي يتبناها الخوارج، إن وصف الفكر السلفي-الجهادي بالبدعة ليس إجماعاً داخل الإسلام، فقد أدت أيديولوجية داعش التي لها تأثير تكفيري قوي (وصف المسلمين الآخرين بأنهم مرتدون)، إلى وصفها بأنها بدعة مقارنة بوصف القاعدة بمثل هذا الوصف، ويمكن وصف الخوارج بأنهم مجموعة تتبنى مواقف متطرفة على من هو مسلم أو غير مسلم-الذين رفضوا علماً كخليفة لأنه أخضع حكمه إلى التحكيم البشري (والحكم ملك الله وحده) ويدعون أيضاً أن حشد المسلمين الذين أخطأوا ليسوا مسلمين ما لم يتوبوا. وانفصلوا عن غيرهم من المسلمين، واعتقدوا أن العيش بين أولئك الذين لا يشاركونهم وجهات نظرهم هو أمر محرم، ينظر:

Tamara Sonn and Adam Farrar, "Kharijites," Oxford Bibliographies, December 14, 2009, <https://www.criticalthreats.org/analysis/takfirism>.

١٨. لقد تأثرت حجج ابن تيمية بشدة بتجربته في ظل المغول، ولاسيما الغزو المغولي الثالث لسوريا عام ١٣٠٣. وقال إن المغول ليسوا مسلمين على الرغم من أنهم يدعون ذلك لأنهم يحكمون على وفق قوانين صنعها البشر بدلاً من الشريعة، وقد كانت هذه الحجة مثيرة للجدل فيما بعد والآن؛ لأنها نقلت الحكم على من هو مسلم من الله إلى الإنسان، وسمحت لابن تيمية فيما بعد بأن يجادل بعد ذلك بأن هناك فرض عين يقع على جميع المسلمين بالقيام بالجهاد العنيف ضد المغول الغزاة، وكان ابن تيمية أول من أذن بالقوة المميتة في معركة ضد جماعة تدعي الإسلام. ومن هنا فإن تنظيم القاعدة وغيرها من الجماعات السلفية-الجهادية يستندون على حجج ابن تيمية في الفتاوى الخاصة بهم.



القوة في معركة ضد جماعة تدعي أنها مسلمة، ليقدم مسلمو القرن العشرين حججاً ما لبثت حتى أصبحت أحد أسس الأيديولوجية السلفية-الجهادية. ومن بين هؤلاء الإسلاميين الذي روجوا لمثل هذه الحجج أمثال محمد رشيد رضا، الذي دعا إلى إعادة الخلافة<sup>١٩</sup>، وأبي الأعلى المودودي، الذي وصف الكثير من تأريخ المجتمع الإسلامي بأنه غير إسلامي أو في حالة الجاهلية<sup>٢٠</sup> (جهل بهدى الله) ودعا إلى التقيّد بالشريعة الإسلامية. وكذلك حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وسيد قطب الذي جمع في كتابه معالم في الطريق بين تعاليم ابن تيمية، ورشيد رضا، والمودودي، وحسن البنا<sup>٢١</sup>، ليضع الطريق للعودة بالإسلام إلى جذوره، ودعا قطب إلى الطليعة<sup>٢٢</sup> لقيادة المسلمين في محاولة لإحياء الإسلام.

ركز الأيديولوجيون الأوائل على كيفية توحيد الأمة وتوسيعها، ومناهضة الدول الإسلامية بوصفها غير إسلامية، وعدها قريبة جداً من الأفكار الغربية. كان المودودي أول باحث في القرن العشرين تعتمد نظريته على النشأة الأصلية للإسلام<sup>٢٣</sup>، وعارض التحديث والمفاهيم الغربية وأعاد التأكيد على المفهوم الإسلامي لسيادة الله، مؤكداً أن لا شيء يخرج عن قانون الله. وقال المودودي إن الغرض من الإسلام هو تجسيد سيادة الله على الأرض من خلال الإنسان - الخليفة - الذي

١٩. كانت الإمبراطورية العثمانية آخر خلافة معترف بها، وقد ألغاه مصطفى كمال أتاتورك وتم طرد الخليفة الأخير عبد المجيد الثاني من تركيا، ويذكر أن النبي محمداً قد تنبأ بسقوط الخلافة والعودة إليها في نهاية المطاف بعد حقبة مظلمة من العنف، وازدادت الدعوة إلى استعادة الخلافة في القرن العشرين وكررها الإسلاميون السياسيون السلفيون.

See Vernie Liebel, "The Caliphate," Middle Eastern Studies 45, no. 3 (May 2009): 373-91, <http://www.jstor.org/stable/40262673>; and Encyclopedia Britannica Online, s.v. "Caliph," <https://www.britannica.com/topic/caliph>.

٢٠. الجاهلية: هي حالة الجهل بالتوجيه الإلهي من الله، ويؤكد قطب في حديثه أن الجاهلية اليوم هي التمرد ضد سيادة الله الذي يدعي الإنسان "فيها الحق في خلق القيم وتشريع السلوك الجماعي واختيار أي طريقة للحياة". 21. Sayyid Qutb, Milestones [Ma'alim fi al-Tariq] (Egypt: Kazi Publications, 1964).

٢٢. وصف قطب في كتابه معالم في (الطريق هذه الطليعة)، التي يعدها المسلمين الذين يسعون لإحياء الإسلام وتتناول مقدمته الطليعة مباشرة، ولم يقدم أي معلومات عن كيفية إنشاء الطليعة.

23 - Gilles Kepel, Jihad: The Trail of Political Islam, trans. Anthony F. Roberts (Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, 2002), 34-35.

يعمل بحكم تفويض السيادة الإلهية له ويلتزم بالشريعة<sup>٢٤</sup>؛ ومع ذلك، فقد كان المودودي أقل ثورية من سيد قطب وغيره، إذ دعا إلى حزب سياسي طليعي يسعى إلى «الأسلمة من فوق» المجتمع وإعادة تأسيس الخلافة.

فيما ادعى قطب أن الأمة انقطع وجودها لقرون كثيرة؛ لأن المسلمين قد توقفوا عن ممارسة الدين بشكل صحيح، ويعبدون الجبت والطاغوت الذي يجسده حكامهم العلمانيون. لقد كرس فصلاً<sup>٢٥</sup> من كتابه معالم في الطريق لإنشاء الأمة، التي تبدأ مع العقيدة، والشهادة أو إعلان الإيمان (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكان فهم قطب للشهادة ثورياً؛ لأنه قال إن إعلان الإيمان يتضمن رفض أي شكل من أشكال الحكم البشري أيضاً، فكان يعتقد أن الأمة يجب أن تبدأ بالعقيدة وأن تعزل نفسها عن المجتمع، على الرغم من أن كسب هذا المجتمع يبقى مهماً، وكتب في مقدمته في كتاب معالم في الطريق: «إن الإسلام لا يمكن أن يؤدي دوره إلا أن يتمثل في المجتمع». لقد سعى كل من قطب والمودودي أولاً إلى بناء الأمة، التي يعنون بها جماعة جديدة من المسلمين الصالحين، ثم الانخراط مع المجتمع ككل؛ لإعادة تحويله إلى الإسلام، -فهم قطب- وبدرجة أقل المودودي للإسلام يختلف بنحو كبير عن فهم الإسلام خلال حياتهما الخاصة، وحتى عن المسلمين لقرون متعددة حلت.

إن حجة قطب بصدد شن الجهاد العنيف ركزت على تحويل المجتمعات إلى أمة جديدة على وفق منظوره، وقد ادعى أن الأمة الجديدة ستبني النبي محمداً (ص)، وتنبأ بأن الدول والمجتمعات الإسلامية سترفض المجتمع الجديد وتتصرف ضده بالقول:

بما أن «الإسلام» في صراع مع الجاهلية التي تسود على الأفكار والمعتقدات، والتي لديها نظام عملي للحياة والسلطة السياسية والمادية ورائها، كان على الحركة الإسلامية أن تنتج موارد موازية لمواجهة هذه الجاهلية، وتستخدم هذه الحركة طرق الوعظ والإقناع لإصلاح الأفكار والمعتقدات؛ وتستخدم السلطة المادية والجهاد من أجل إلغاء منظمات وسلطات الجاهلية<sup>٢٦</sup>.

٢٤ - كان المودودي كاتباً غزيراً، وقد تصور بنية الدولة الإسلامية التي وصفها بأنها ثيوديمقراطية؛ بسبب تركيز الإسلام على الإجماع.

Liebel, "The Caliphate"; Abdul Rashid Moten, "Islamization of Knowledge in Theory and Practice: The Contribution of Sayyid Abul A'Lā Mawdūdī," Islamic Studies 43, no. 2 (Summer 2004): 247-72, <http://www.jstor.org/stable/20837343>; and Elisa Giunchi, "The Political Thought of Abul A'Lā Mawdūdī," Il Politico 59, no. 2 (April-June 1994): 347-75, <http://www.jstor.org/stable/43101492>.

25 - Qutb, Milestones, chap. 3.

26 - Ibid., chap. 4.

وعلى غرار النبي وأتباعه، يجب على الأمة الجديدة أن تقوم بالدعوة، وأن تدافع عن نفسها، وأن تعمل على القضاء على من يعارضها في نهاية المطاف. يرى قطب -على عكس المنظرين السلفيين- الجهاديين اللاحقين- أن الجهاد بدأ أولاً ضد هؤلاء الذين أهانوا الأمة مباشرة، ثم ضد الدول الإسلامية، وأخيراً ضد العالم غير الإسلامي.

### السلفية-الجهادية في الممارسة

كان الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان نقطة تحول حاسمة لأنه حول الفكر إلى حركة عالمية؛ فقد كانت الحرب الأفغانية-السوفيتية أول صراع في العصر الحديث استقطب مقاتلين مسلمين تم تجنيدهم من جميع الجنسيات، ومن الجدير بالذكر أن الصراع الإسرائيلي-الفالسطيني لم يكن له مثل هذا التأثير على المسلمين في جميع أنحاء العالم؛ وذلك يعود جزئياً كون المقاومة الفلسطينية علمانية، ولأن السفر للانضمام إلى المعركة كان صعباً<sup>٢٧</sup>. وقد تطور تفكير الأيديولوجيين السلفيين-الجهاديين إبان الحرب الأفغانية، من التركيز بنحوٍ حصري تقريباً على المجتمعات والدول التي يعيشون فيها إلى التركيز على المجتمع الإسلامي الأوسع، وقد أثبت نجاح المجاهدين في أفغانستان أن هذا النصر كان ممكناً، وكذلك أنه كان من الممكن أن تؤدي الإمارة الإسلامية التي تم إنشاؤها إلى وضع الأساس للخلافة المستقبلية.

وقد طوّر قادة الفكر السلفي-الجهادي الذين نشطوا إبان الحرب السوفيتية-الأفغانية مفاهيم سيد قطب، ومن بين هؤلاء القادة عبد الله عزام، -رجل دين تحول إلى داعية عالمي لتجنيد المقاتلين- أنشأ الفكر السلفي-الجهادي الحديث، إذ قاد الجهاد الأفغاني-العربي ضد السوفيت في أفغانستان<sup>٢٨</sup>، وكان عزام فلسطينياً، وحول هدف الجهاد من عدو داخلي (الحاكم أو الدولة) إلى عدو خارجي (المعتدي)<sup>٢٩</sup>، وعد إسرائيل هي المعتدية على الفلسطينيين، وقال إن السوفيت

٢٧ . وتوصف هذه بأنها أسباب للقتال في أفغانستان في عبد الله عزام.

The Defense of Muslim Territories (1984), translated excerpts, in Al Qaeda in Its Own Words, edited by Gilles Kepel and Jean-Pierre Milelli (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2008).

٢٨ . النصوص الرئيسية لعزام تشمل، الدفاع عن الأراضي الإسلامية والانضمام إلى القافلة والقاعدة الصلبة.  
29 . Thomas Hegghammer, "Abdallah Azzam, the Imam of Jihad," in Kepel and Milelli, Al Qaeda in Its Own Words, 98-99.

أدوا الدور نفسه في أفغانستان<sup>٣٠</sup>. وفي الوقت الذي قال فيه سيد قطب: إن دار الإسلام<sup>٣١</sup> (البلاد الخاضعة لحكم المسلمين وسلطانهم) لم تكن موجودة منذ قرون<sup>٣٢</sup>، فقد عدّ عزام أن دار الإسلام هي الأرض التي يُقبل الإسلام فيها - وإن كان بطريقة غير صحيحة - ومن ثم السعي للذود عن تلك الأراضي من الكافرين<sup>٣٣</sup>، وكتب من أرض المعركة ودعا جميع المسلمين - حتى أولئك الذين ضلوا - للقتال، بحجة أن الأفغان لم يتمكنوا من كسب الحرب لوحدهم، فقد كان فرض عين، وهو التزام فردي ليأتي الجميع للدفاع عنهم. لقد أعاد عزام تعريف الجهاد ليحوّله من معركة قطب الثورية ضد الدولة من الداخل، إلى قتال لدفع الغزاة غير المسلمين عن الأراضي الإسلامية<sup>٣٤</sup>. وهذا التحول في تحديد الهوية الإسلامية من مشكلة داخلية إلى خارجية، وهي مواجهة العدو المرتد، قد حول الفكر السلفي-الجهادي إلى حركة عالمية حقاً.

وضع عبد الله عزام نظريته الخاصة لقوة الطليعة حتى نهاية الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان<sup>٣٥</sup>، وقد اشتد قتال وتدريب المجاهدين القادمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي وتدريبهم في أفغانستان، وتم تلقينهم الأيديولوجية السلفية-الجهادية في الحنادق، وقد صوّر عزام قادتها كأعضاء في قوة طليعية، فقد أعاد تعريف الطليعة التي جاء بها سيد قطب<sup>٣٦</sup>، وسعى إلى بناء

### 30. Azzam, The Defense of Muslim Territories.

٣١. صنف ابن تيمية العالم إلى أقاليم متميزة على أساس الظروف الداخلية التي تحدد إلتزام المسلم. وعلى وفق ابن تيمية فإن دار الإسلام هو المجال الذي حكم الإسلام الحقيقي، ودار الكفر حيث حكم الكفار، ودار الحرب هو المكان الذي يحكم فيه الكفار وهم في صراع فعلي أو محتمل مع دار الإسلام.

٣٢. بحسب قطب فإن دار الإسلام «هو المكان الذي أقيمت فيه الدولة الإسلامية والشريعة هي السلطة وحدود الله مقامه والمكان الذي يدير جميع المسلمين شؤون الدولة بالتشاور المتبادل». Qutb, Milestones, chap. 9.

### 33. Azzam, The Defense of Muslim Territories.

٣٤. بالتأكيد غير المسلمين هم أهل الكتاب (المسيحيين واليهود)، يمكنهم البقاء فقط في حالة قبولهم بحكم الإسلام ودفع الجزية، وهي نصيب الفرد من الضرائب المفروضة على المجتمعات الذمية. ينظر:

Kepel and Milelli, Al Qaeda in Its Own Words, 300, note 25. See also Thomas Hegghammer, "The Rise of Muslim Foreign Fighters: Islam and the Globalization of Jihad," International Security 35, no. 3 (Winter 2010/11):53-94, <http://www.jstor.org/stable/40981252>.

35. See Abdullah Azzam, The Solid Base (1988), translated excerpts, in Kepel and Milelli, Al Qaeda in Its Own Words.

٣٦. اتبع أنموذج قطب خطة ثورية تتمكن فيها قوة طليعة صغيرة من الإطاحة بالحكومة، ومن ثم إقامة حكم إسلامي.

«قاعدة صلبة» من شأنها أن تكون قوة عسكرية لاستعادة الأراضي الإسلامية، وشبه تشكيل هذه القوة بالرعيل الأول من المسلمين الذي تدرّب في ظل النبي محمد (ص) <sup>٣٧</sup> وقد أسس عزام وبن لادن تنظيم القاعدة بعد انتهاء الحرب لتستمر الحركة <sup>٣٨</sup>.

إن إنشاء القاعدة كمنظمة رسمية مكرسة للجهاد لنصرة الإسلام في جميع أنحاء العالم كان تحولاً في الحركة السلفية-الجهادية، فهي ربطت بين الأهداف العالمية بتلك التي تتبناها المنظمات المحلية ذات الأهداف الوطنية (الإطاحة بالحاكم والدولة) <sup>٣٩</sup>، ومع ذلك ظل تحديد أولويات المعركة محل خلاف، إذ أشارت كتابات عزام إلى أنه كان يرى أن الأولوية التالية للحركة هي الأراضي الأخرى للمسلمين التي تعرضت لهجوم من قبل المعتدي وظلت فلسطين تحتل الأولوية بالنسبة إليه. فيما عمل أيمن الظواهري -وهو زعيم مصري التحق ببن لادن في منتصف الثمانينيات من القرن المنصرم من أجل الحصول على موارد لجماعته في مصر<sup>٤٠</sup> على حث تنظيم القاعدة لدعم الجماعات الساعية للإطاحة بالأنظمة<sup>٤١</sup>، والظواهري كان اليد اليمنى لابن لادن بعد اغتيال عزام عام ١٩٨٩ <sup>٤٢</sup> وأخذ تنظيم القاعدة في ذلك الاتجاه في البداية، إلا أن فكرة عزام -بصد الدفاع عن الأراضي الإسلامية- لم تحتف، وكانت تحتل مكانة محورية في رسالة تنظيم القاعدة، ولاسيما في أعقاب هجمات ١١ أيلول.

إن أفكار عبد الله عزام استمرت تتردد في الخطاب السلفي-الجهادي، وظلت كتاباته مصدر إلهام للأفراد في جميع أنحاء العالم. واستمر نهجه بشأن بناء شبكة عالمية من خلال الاتصال بمختلف الأفراد والجماعات بعد اغتياله في العام ١٩٨٩، فقد أسس عزام فروعاً لمكتبه "مكتب الخدمات"، وهو المنظمة المكرسة لتجنيد الأجانب للقتال في أفغانستان وفي أماكن إقامتهم كالولايات المتحدة؛

<sup>٣٧</sup>. اسم القاعدة Qaeda يترجم إلى "القاعدة the base"، اطروحة عبد الله عزام في 1988، القاعدة الصلبة كانت مؤثرة كولاية للمنظمة الجديدة.

<sup>٣٨</sup>. قد اختلف عزام وبن لادن في الخطوات اللاحقة للجهاد بعد أفغانستان، فقد سعى عزام أولاً إلى تحرير الأراضي الإسلامية تحت الاحتلال الأجنبي مثل موطنه الفلسطيني، في حين ركز بن لادن على الأنظمة العربية.

<sup>٣٩</sup>. للاطلاع على الميثاق الدستوري لمهمة تنظيم القاعدة وأهدافه ينظر:

Combating Terrorism Center, Harmony database, s.v. "Al-Qaida's Constitutional Charter," <https://www.ctc.usma.edu/posts/al-qaida-constitutional-charter-english-translation-2/>.

40 -Stephane LaCroix, "Ayman al-Zawahiri, Veteran of Jihad," in Kepel and Milelli, Al Qaeda in Its Own Words, 154-55.

41-Ibid., 158-59.

<sup>٤٢</sup>. حتى يومنا هذا لم يعرف من أمر باغتيال عزام؛ لكن هناك نظرية واحدة هي أن الظواهري أمر بالضربة، ولكن هناك الكثير من النظريات الأخرى المحتملة.

وهذا الجهد قد أحدث بصمة عالمية كبيرة وأنتج مجموعة من النشطاء المتشددین الذين تتجاوز معتقداتهم الحدود الوطنية. وكان أسامة بن لادن واحداً من العديد من القادة المستقبليين في هذه الجماعة، وقد ارتقى مكانة بارزة في الحركة السلفية-الجهادية لأنه ورث شبكات عزام العابرة للحدود الوطنية وليس لأنه يمتلك المال لتمويل عمليات تنظيم القاعدة فحسب.

### من الأيديولوجية إلى الحركة

تشكلت الحركة السلفية-الجهادية من مخاضات التجارب المشتركة بذات القدر الذي ساهم الاشتراك والأيديولوجية والنظرية والعقيدة في تشكيلها؛ إذ تجمع الأفراد الذين تجمعهم رؤى مشتركة على أرض التدريب وميدان المعركة وفي مساح عمليات مختلفة، وانضموا إلى جماعات محلية أو تلقوا دعماً منها، فقد وحدتهم القضية المشتركة وتم تحشيدهم غير مرة للجهاد، وتم بناء الشبكات التنظيمية في ساحة المعركة لتوزيع الموارد وتقاسمها وعملت العلاقات -الجديدة والقائمة- على توثيق عرى التواصل بين الجماعات من أجل تعزيز الحركة؛ لذا فإن تجربة الجهاد، القتال في ساحة المعركة، كانت مرحلة مهمة لتثبيت وتنشيط الحركة العالمية، فعلى الرغم من أن الأيديولوجية توحد الحركة السلفية-الجهادية العالمية وتقودها، إلا أن تطور الحركة باستمرار مرهون بالكيفية التي تعبر عن نفسها على الأرض وتتكيف مع المتغيرات الجديدة وتحسين عملياتها وفقاً للظروف المستجدة.

إن البنية التعاونية-التنافسية قد ميزت الأيديولوجية والحركة خلال القرن العشرين، إذ إن جماعة القيادة الموزعة بنحو لامركزي والمنتشرة جغرافياً بين مختلف الأشكال التنظيمية، أتاحت للحركة العمل بحرية بشكل كامل من خلال الفكر والنظرية والممارسة، وتقوم جماعة القيادة بتنسيق الجهود التنظيمية، بما في ذلك تقاسم الموارد الحيوية؛ لتعزيز الأهداف العامة للحركة، وفي الوقت نفسه فقد تنافس القادة جميعاً ليكونوا أول من يحقق النجاح.

وقد اتسع نطاق الحركة من حيث حجمها ومن حيث الاتساع الجغرافي للمسلمين الذين لبوا دعوة الجهاد، وأصبحت أفغانستان البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار -من أمثال أفكار عبد الله عزام- ومصدر إلهام للمجاهدين الذين عادوا إلى ديارهم، والذين أسسوا جماعات سلفية-جهادية في بلدانهم الأصلية؛ الأمر الذي أدى إلى ظهور موجة عالمية من الجهاد-السلفي، وانتشرت الحركة في أنحاء كثيرة من الأراضي ذات الأغلبية-المسلمة، وبعد أن تطورت خبراتهم وعلاقتهم المشتركة في أفغانستان التي جمعت بينهم، عادوا إلى أوطانهم ليؤسسوا في الحال شبكة ذات إمكانية امتدت إلى أنحاء البلدان الإسلامية؛ لتضع هذه الشبكة فيما بعد الأسس التي من خلالها توسعت فروع تنظيم القاعدة.

وهكذا فقد تسبب العائدون من أفغانستان في زيادة عدد الهجمات السلفية-الجهادية في العالم الإسلامي في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضي وصحيح أن الجماعات الإسلامية المسلحة كانت نشطة قبل الجهاد الأفغاني إلا أنها كانت قليلة ومنظمة على الصعيد الوطني، بما في ذلك الجهاد الإسلامي المصري والحركة الإسلامية الجزائرية.

ولما عاد المجاهدون، جلبوا معهم الدروس التي تعلموها في الميدان، وطلبوا التمويل من الخارج؛ الأمر الذي أنعش الجماعات المحلية التي عززت بدورها الحركة العالمية، وبحلول أوائل التسعينيات نشطت الجماعات السلفية-الجهادية في شمال أفريقيا، والشرق الأوسط، والقوقاز، وجنوب آسيا، وجنوب شرق آسيا، وأظهرت أفغانستان أن النجاح كان ممكناً، واستثمر الزعماء الجدد الاستياء الشعبي المتزايد من الحكومات الاستبدادية للقيام بالتحديد والتحشيد ضدها، وواصل بعض الأفراد القتال في ساحات القتال الجديدة -البوسنة والشيشان- بوصفها مسارح دولية للجهاد، لكن لم تنجح ولا معركة في تحقيق هدفها القاضي بالعمل على انهيار الدولة، بل فشلت بنحو ذريع.

ومع ذلك، فإن جبهات الجهاد تخلق نقاط تواصل للمقاتلين الأجانب للتعلم، وتبادل الخبرة، وتحسين المنهجية العامة، لكن تشتت هؤلاء المقاتلين الأجانب بعد انتهاء الحروب -بعد أفغانستان، البوسنة، الشيشان، الصومال، العراق، سوريا- يعمل على وجود نهج ترايطي ومتكيف بين الجماعات التي تتبنى الأيديولوجية الأساسية نفسها، ولكن قد لا تطور انتماءات تنظيمية رسمية، وقد أوجدت جبهات الجهاد وسائل للجماعات السلفية-الجهادية وسبلاً تمكنوا من خلالها إثبات النجاح، وكانت بمنزلة جامعات عملية لطلبة الأيديولوجية السلفية-الجهادية، ثم ترجم الخريجون فيما بعد الخبرة والمعرفة حينما رجعوا إلى أوطانهم، إذ جلبوا معهم العلاقات الشخصية التي ساعدت على توحيد الحركة العالمية حول الأيديولوجية السلفية-الجهادية المشتركة، وأصبح تنظيم القاعدة في ظل بن لادن قوة مضاعفة للعديد من الجماعات السلفية الجهادية المحلية، التي تفي بالمتطلبات التنظيمية الأساسية مثل التمويل، وفي الوقت نفسه، عملت على بناء شبكة معقدة من العلاقات التنظيمية والشخصية التي يستخدمها تنظيم القاعدة وغيرها من الجماعات السلفية-الجهادية العابرة للحدود الوطنية.

وقد عززت الهزائم المدوية التي منيت بها الجماعات السلفية-الجهادية في منتصف التسعينيات بعض الدروس منها: أن عدم وجود جهد موحد داخل البلد يضعف التقدم، فقد أدى التناحر بين الجماعات المحلية إلى تقويض النجاح العام، إذ سعت الجماعات إلى التغلب على الجماعات الأخرى أو تهميشها، فيما انخرط آخرون في مخاطر لا داعي لها. ومنها أيضاً الدعم الغربي للحكومات ذات الأغلبية المسلمة فقد كان عقبة رئيسة أمام النجاح، فقد منع الدعم الخارجي جهود المجاهدين بإسقاط هذه الحكومات، لكن الغرب -ولاسيما الولايات المتحدة- لم يكن على استعداد لتقديم أرواح جنوده دعماً لهذه الحكومات؛ وبالتالي يمكن إجباره على سحب الدعم عنها، فقد انسحبت



الولايات المتحدة من كل من الصومال ولبنان بعد أن منيت بخسائر كانت محدودة جداً مقارنة بالسوفيت في أفغانستان، التي أسفرت عن مقتل ١٠,٠٠٠ سوفي؛ وأخيراً، فإن الجماعات فقدت أو لم يكن لها تأييد شعبي؛ لأن ارتفاع عدد القتلى في صفوف المدنيين يعزل السكان عن الإسلاميين ويمكن الأجهزة الأمنية من إلقاء القبض عليهم.

لقد تجلّت هذه الدروس بوضوح في الجهاد الجزائري إبان الحرب الأهلية في ذلك البلد، إذ تلقت الجزائر الدعم من فرنسا لسحق المقاومة، فقد كانت الجماعات السلفية-الجهادية نشطة في الجزائر في أوائل التسعينيات من القرن الماضي وتنافست مع بعضها بعضاً على قيادة الحركة الجزائرية، بعد أن دخلت جبهة الإنقاذ الإسلامية (FIS) حيز الوجود. ومن بين هذه الجماعات، الحركة الإسلامية المسلحة (MIA) والجماعة التي انشقت عنها، الجماعة الإسلامية المسلحة (GIA). فهاجمت الحركة الإسلامية المسلحة (MIA) الدولة، وامتنعت عن استهداف السكان على نطاق واسع، فيما تبنت الجماعة الإسلامية المسلحة (GIA) نهجاً أكثر تطرفاً، فقد وسعت من تعريف عدوها بمرور الوقت ليشمل الأجانب والموظفين الحكوميين وأعضاء الحركة الإسلامية المسلحة (MIA) والمدنيين الذين لا يطيعون فتاواها؛ وأدى ذلك إلى تصعيد مستوى العنف<sup>٤٣</sup>، وهناك فصيل، -هو بالأساس جماعة من العرب الأفغان (العرب الذين لديهم قاتلوا السوفيت)-، انشق عن الجماعة الإسلامية المسلحة (GIA) بسبب طريقة تعاملها مع المدنيين وشكل جماعة جديدة، وهي الجماعة السلفية للدعوة والقتال (GSPC). وقد ركزت هذه الجماعة على الدعوة، كما يوحي بذلك اسمها -أي: إيصال الدعوة الدينية إلى السكان- ومقاتلة الدولة الجزائرية. وغيّرت الجماعة السلفية للدعوة والقتال (GSPC) اسمها في وقت لاحق، إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (AQIM)، بعد أن تولت جبهة أفغانية-عربية قيادتها<sup>٤٤</sup>. وقد فقدت الجماعة الإسلامية

٤٣. دعوة زعماء الجماعة الإسلامية (GIA) إلى القتال واجب على الجزائريين وسرعان ما وسع تعريف عدوه ليشمل الصحفيين وأسر الجنود والموظفين المدنيين، وواصلت الجماعة الإسلامية إضافة الأعداء إلى قائمتها بما في ذلك أعضاء الحركة الإسلامية المسلحة (MIA) والمثقفون والأجانب والمدنيون الذين لم يلتزموا بفتاواها الإسلامية، وسعت جبهة القتال لتشمل فرنسا التي تدعم الحكومة الجزائرية.

٤٤. كان عبد الملك درودكال، وهو أمير تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي AQIM، في أفغانستان قبل أن يعود للقتال في الحرب الأهلية الجزائرية. للمزيد من المعلومات بشأن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ينظر: AQIM

Andreas Hagen, "Al Qaeda in the Islamic Maghreb: Leaders and Their Networks," American Enterprise Institute, CriticalThreats Project, March 27, 2014, <http://www.criticalthreats.org/al-qaeda/hagen-aqim-leaders-and-networks-march-27-2014>.

المسلحة (GIA)، التي واصلت هجماتها الوحشية، الدعم الشعبي، واعتقلت قوات الأمن الجزائرية قيادتها المتبقية في العام ٢٠٠٤.<sup>٤٥</sup>

وقد خاض أيمن الظواهري -الزعيم الحالي لتنظيم القاعدة- هذه الدروس مباشرة، إذ إن مشاركته في الحركة الجهادية في مصر وتجربته في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي أثرت على قراراته وتوجيهاته الحالية لتنظيم القاعدة، فكان قائداً بارزاً في الحركة المصرية، وشهد كيف أصبحت مجموعته -الجهاد الإسلامي المصري (EIJ)- معزولة بسبب فقدانها الدعم الشعبي وترك مصر بعد الهزيمة في منتصف التسعينيات، وقد أشرف الظواهري على الدور الذي أداه الجهاد الإسلامي المصري (EIJ) بزيادة العنف، بما في ذلك أول هجوم انتحاري قامت به جماعة سنية في أوائل التسعينيات، إذ تنافست جماعة الجهاد الإسلامي المصري (EIJ) مع الجماعة الإسلامية في الهجمات ضد نظام مبارك. وأدت الخسائر المدنية المتزايدة -ولاسيما تفجير تشرين الثاني ١٩٩٣ المجاور لمدرسة للبنات- إلى استعداء السكان. وقع أعضاء الجماعة الإسلامية والجهاد الإسلامي المصري (EIJ) المسجونون اتفاقية لإنهاء العنف مع الحكومة المصرية التي عارضها الظواهري بشدة<sup>٤٦</sup>. وشهد الظواهري انهيار الثورات الإسلامية في مصر، فقد قامت الحكومة المصرية باختيار الجماعات التي كانت مسجونة أو في مطاردة أو من دون دعم شعبي؛ لذا هو ما يزال عازماً للتحول دون وقوع هزيمة من هذا القبيل مرة أخرى.

**القاعدة معزولة في الظل:** ركزت القاعدة على تصدير الجهاد إلى العالم الإسلامي في تسعينيات القرن الماضي، وسعى قادتها إلى تكرار النجاح في أفغانستان بتقاسم الموارد والمهارات مع الجماعات المحلية لمساعدتها في أن تصبح قوات تمرد حقيقية ضد الحكومات المحلية. وكانت الرؤية قيادة ثورات محلية متعددة من أجل إعادة الإسلام الحقيقي إلى العالم الإسلامي. وبإزاء ذلك فإن تنظيم القاعدة يختص لنفسه شتّى الهجمات الخارجية لإجبار الدول الغربية، -ولاسيما الولايات المتحدة- على عدم التدخل في الأراضي الإسلامية. إلا أن تنظيم القاعدة لم يتمكن من إعادة إنتاج ما حدث في أفغانستان وظل منظمة سرية، يعمل على هامش المجتمع.

وقد خصص تنظيم القاعدة موارده لتوحيد صفوف الجماعات السلفية-الجهادية المحلية ودعمها في معاركها<sup>٤٧</sup>، فقد مولت موارد أسامة بن لادن والأموال التي تم جمعها من خلال

45 . BBC News, "Algeria Reveals Rebel Crackdown," January 4, 2005, <http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/4144265.stm>.

46 .See Laura Mansfield, trans., His Own Words: A Translation of the Writings of Dr. Ayman al Zawahiri (TLG Publishers, 2006), 136-76.

٤٧. كما نظمت الجماعة هجمات ضد الولايات المتحدة بسبب «احتلالها» للأراضي الإسلامية المقدسة إبان حرب الخليج الأولى، وضربت أهدافاً أمريكية في شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا ونيويورك، وعمل تنظيم القاعدة

الشبكات الخيرية التي أنشأها عبد الله عزام الجماعات المحلية، وقد تم إرسال كبار المحاربين الذين أصبحوا أعضاءً في تنظيم القاعدة إلى مختلف الدول؛ لتقديم المشورة والمساعدة لهذه الجماعات. وأبلغ هؤلاء الناشطون ابن لادن بجهودهم. فعلى سبيل المثال، اشتكى أعضاء تنظيم القاعدة في شرق أفريقيا من سياسة القبائل المحلية والافتقار إلى البنية التحتية؛ الأمر الذي جعل العمليات صعبة<sup>٤٨</sup>. وعلى الرغم من أن تنظيم القاعدة لم يكن له سلطة على نشاطات الجماعات المحلية أو صنع قراراتها لأنها ظلت مستقلة عن القيادة المباشرة لتنظيم لقاعدة، إلا أن التنظيم ساعد على تشكيل الجماعات وتوجيهها؛ الأمر الذي أدى إلى نشر أيديولوجيته. وإن التقارير العملية التي كانت ترجع إلى ابن لادن وقيادة القاعدة، أعطت لتنظيم القاعدة رؤية جيدة بشأن التحديات التي تواجهها الجماعات المحلية، مما مكّنها من التحديث المستمر لفهمها بشأن ما ينبغي أن تكون عليه الاستراتيجية.

ومع ذلك فإن النجاح في تحشيد الدعم الجماهيري مكّن القاعدة من الإفلات خلال تسعينيات القرن الماضي والعقد الذي يليه، وعلى الرغم من أن تفجير مركز التجارة العالمي في العام ١٩٩٣، وتفجيرات السفارة شرق أفريقيا وتفجير المدمرة الأمريكية يو أس أس كول في العام ٢٠٠٠ قد استقطبت مجندين جدداً لكنها ليست الشعبية الواسعة التي يسعى إليها تنظيم القاعدة. وقد أدت هجمات ١١ أيلول إلى زيادة التأييد الشعبي للمسلمين في الولايات المتحدة فضلاً عن أنها أدت إلى خسارة تنظيم القاعدة ملاذته الآمن في أفغانستان. لكن وفي الوقت الذي عمل فيه الغزو الأمريكي لأفغانستان على إضعاف قيادة تنظيم القاعدة وتفريقها، إلا أنه وضع التنظيم على الطريق الذي يعمل فيه على تكييف منظمته ضمن شبكة الجماعات المنظرية إليه التي تستجيب مباشرة لتوجيهات ابن لادن وتلتزم بتنفيذ أهداف تنظيم القاعدة. فقد استغلت قيادة تنظيم القاعدة القادة الذين عرفتهم من الجبهة الأفغانية وبدأت بتنمية العلاقات الجماعية<sup>٤٩</sup>، لكن مع ذلك فإن هذه الجماعات الجديدة

مع الجماعات المحلية مثل العرب الأفغان الذين ساعدوا على تسهيل هجوم عام 1992 على مشاة البحرية الأمريكية الذين يعبرون عدن في طريقهم إلى الصومال.

٤٨- لمزيد من المعلومات حول عمليات القاعدة في شرق أفريقيا في التسعينيات من القرن الماضي، ينظر: Clint Watts, Jacob Shapiro, and Vahid Brown, "Al-Qaida's (Mis) Adventures in the Horn of Africa," Combating Terrorism Center, July 2, 2007, <http://www.ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2010/06/Al-Qaidas-MisAdventures-in-the-Horn-of-Africa.pdf>.

٤٩. لمزيد من المعلومات حول الكيفية التي تعمل فيها شبكة القاعدة، ينظر: Katherine Zimmerman, "The al Qaeda Network: A New Framework for Defining the Enemy," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, September 10, 2013, <https://www.criticalthreats.org/analysis/the-al-qaeda-network-a-new-framework-for-defining-the-enemy>.

التابعة لتنظيم القاعدة لم تحظ بدعم شعبي كبير خارج منطقة الحرب العراقية. ولم تلق دعوة تنظيم القاعدة بالعودة إلى المجتمع الإسلامي الحقيقي آذاناً صاغية نسبياً.

وقد أدركت قيادة تنظيم القاعدة الفشل حينما نظرت إلى الفجوة بينها وبين الشعب السني؛ إذ إنها فشلت في تحشيد الدعم بين صفوف السكان أنفسهم الذي كانوا يحاولون قيادتهم منذ عقدين، وإن الأنشطة التي أصبح معروفاً بها تنظيم القاعدة -الهجمات الإرهابية- لم تك سوى جزء صغير من كفاحه. وقد قال أيمن الظواهري في كتابه، (فرسان تحت راية النبي)، إن جهاد تنظيم القاعدة<sup>٥٠</sup> سيتعرض إلى «خيانة» الحكام قبل الأمة «وسيثبتون أن خيانتهم هي عيب في إيمانهم»<sup>٥١</sup>. لذا فقد رأى تنظيم القاعدة التركيز على التوعية (أي الدعوة) بوصفها مكوناً أساسياً من استراتيجيته الكبرى<sup>٥٢</sup>، فقد سعى التنظيم إلى تحسين العلاقات مع السكان السنة، وظل تركيزه على تأمين دعم الأمة؛ وتساوقاً مع ذلك فقد كتب الظواهري:

«يجب على الحركة الجهادية أن تقترب من الجماهير وتدافع عن حرمتها وتدفع الظلم عنها، وترشدها إلى طريق الهداية وتقودها إلى النصر..... يجب على الحركة الجهادية أن تفرغ جناحاً منها للعمل الجماهيري، والدعوة وسط الأمة ولتقدم الخدمات للشعب المسلم ولمشاركة الناس في همومهم بكل أوجه العمل الخيري والتعليمي المتاحة..... لن يجبننا الناس إلا إذا أحسوا بجبننا لهم واهتمامنا بهم ودفاعنا عنهم. بإيجاز يجب أن تخوض الحركة الجهادية وهي وسط الأمة وأمامها، وأن تحذر كل الحذر من أن تنعزل عن أممتها وتخوض ضد الحكومة معركة الصفوة ضد السلطة»<sup>٥٣</sup>.

لقد رفضت الأغلبية من المسلمين السنة مبادئ تنظيم القاعدة والأفكار التي طرحتها السلفية-الجهادية، وتم عزل هذه الجماعات والمعتقدين بها من قبل أغلبية الشعب السني. صحيح أن السكان كانوا متسامحين مع السلفية-الجهادية بقدر ما هي موجودة ولا تؤثر على الأنشطة اليومية، بيد أن الحركة نفسها كانت معزولة على نحو فعال وغير قادرة على التأثير بالجماهير.

٥٠. إن مناقشة القاعدة للجهاد تركز على الجهاد «الأكبر»، وهو الكفاح العنيف في سبيل الله. ينظر:

Mary Habeck, "Attacking America: Al Qaeda's Grand Strategy in Its War with World," Foreign Policy Research Institute, February 18, 2014, <http://www.fpri.org/article/2014/02/attacking-america-al-qaedas-grand-strategy-in-its-war-with-the-world/>.

51. Mansfield, His Own Words, 212.

52. Habeck, "Attacking America."

53. Mansfield, His Own Words, 208-9.

**الدروس المستفادة من القاعدة:** إن نفور المسلمين وما أعقب ذلك من عدم دعمهم للجهاد العالمي بات يمثل مشكلة للحركة السلفية-الجهادية، وأدركت الحركة أنها لن تحقق دولتها أبداً ما لم تكن لها علاقات جيدة مع السكان السنة؛ لذا فقد أعاد تنظيم القاعدة تركيز طاقته ليس على التعلم من أجل كيفية تحسين نهجه للقتال في الحرب بحسب بل على نهجه في كسب الدعم الشعبي. إن استراتيجية تنظيم القاعدة في الهجوم داخل الدول الإسلامية في أوائل القرن الحادي والعشرين كان له تأثير سلبي على دعم الحركة، ففي ١٤ أيلول عام ٢٠٠٦، وردت رسالة إلى أسامة بن لادن من شخص لم يكشف عن اسمه، انتقد علناً قرارات ابن لادن المتضمنة تركيز جهود تنظيم القاعدة على المملكة العربية السعودية في ٢٠٠٣<sup>٥٤</sup> بدلاً من العراق وأفغانستان، حيث تنتشر القوات الأمريكية في السعودية أو الكويت حيث كانت تعمل هذه القوات لدعم جهودها للحرب على العراق<sup>٥٥</sup>، ويقول الكاتب «إن استطلاعات الرأي العام في العالم الإسلامي تثبت أن الدعم المقدم لـ (بن لادن) قد انحسر بين أوساط العرب والمسلمين بعد استهداف شبه الجزيرة». وأضاف أن الدول الإسلامية اتخذت أيضاً إجراءات للحد من دعم المجاهدين. وانتهى بالاقتراح على ابن لادن التركيز على مهاجمة الولايات المتحدة «رأس الأفعى» ودعم الجهاد في العراق وأفغانستان، وطالب ابن لادن قائلاً:

ابتعد عن العمل داخل الدول الإسلامية من أجل حماية سمعة المجاهدين، وحماية مقبوليتهم داخل المجتمعات الإسلامية، والحيلولة دون وقوع أي ضرر على المجاهدين وداعمي الجهاد، ومنع العلمانيين والليبراليين من استغلال هذه الأحداث، وتوجيه نفوس الشباب صوب المعركة الكبيرة ضد رأس الأفعى.

٥٤. نفذ تنظيم القاعدة سلسلة من الهجمات في المملكة العربية السعودية في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وشن هجمات واسعة النطاق في العام 2003 و مجزرة الخبر في العام 2004، للإطلاع على التسلسل الزمني للهجمات المرتبطة بالقاعدة في المملكة العربية السعودية في عام ٢٠٠٣ ينظر:

Reuters, "Bombings and Arrests in Saudi Arabia," November 9, 2003, <http://edition.cnn.com/2003/WORLD/meast/11/08/saudi.chronology.reut/>. See also Abdul Hamid Bakier, "Lessons from al-Qaeda's Attack on the Khobar Compound," Terrorism Monitor, August 11, 2006, <https://jamestown.org/program/lessons-from-al-qaedas-attack-on-the-khobar-compound/>.

55. See Combating Terrorism Center, trans., "Letter of Advice to UBL," September 14, 2006, <https://www.ctc.usma.edu/posts/letter-ofadvice-to-ubl-original-language-2>.

سيطر تنظيم القاعدة في العراق على محافظة الأنبار واقترب التنظيم من أوج قوته خلال الحرب<sup>٥٦</sup>، وأشار الكاتب أن النصر في العراق سيعمل على تحفيز الحركة، وكان كثيرون متفائلون بإمارة أفغانستان الإسلامية (طالبان) التي حكمت البلاد قبل غزو الولايات المتحدة لأفغانستان في تشرين الأول ٢٠٠١.

ومع ذلك ظهرت مخاوف داخلية حول الكيفية التي حاز فيها تنظيم القاعدة في العراق على القوة حتى كاد ينجح، لكن التوتر بين أمير القاعدة في العراق أبي مصعب الزرقاوي وأيمن الظواهري نائب أسامة بن لادن آنذاك في الأعوام ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥، أباط اللثام عن الخلاف بينهما بشأن كيفية توليد الدعم ضمن السكان السنة، ففي تقرير أرسله الزرقاوي عام ٢٠٠٤ لقادة تنظيم القاعدة في باكستان أساء فيه لسنة العراق، فكتب قائلاً: الجماهير هم الأغلبية الصامتة والشيوخ والعلماء هم بالأساس صوفيون و«محكوم عليهم بالهلاك»، والإخوان المسلمين «يتاجرون بدماء الشهداء» والمجاهدون لا يتمتعون بالخبرة ويخشون الموت وأعداد المقاتلين الأجانب تكاد لا تذكر<sup>٥٧</sup>. كانت خطة الزرقاوي هي تحشيد السنة عبر إثارة الحرب الطائفية من خلال الهجمات الموجهة ضد الشيعة، إذ اعتقد أن السنة سيقاتلون حينما يواجهون تهديداً وجودياً من الشيعة وشرع في إثارة هذا التهديد.

وشدد الظواهري في العام ٢٠٠٥ على التركيز على قضية الدعم الشعبي -أي على العلاقة مع الأمة<sup>٥٨</sup>. وقد حذر الظواهري الزرقاوي من «الانفصال عن الجماهير»، داعياً إلى مساءلة الزرقاوي لإشرافه على عمليات الذبح في العراق، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الزرقاوي وخلفاؤه على قدم وساق، وإن الهجمات المضادة للشيعة ضد المجتمع السني عموماً قد حشدت في الواقع ذلك المجتمع، وقد تمكن تنظيم القاعدة في العراق من وضع نفسه على رأس ذلك التحشيد لمدة من الزمن، ل يبدو أنه يؤكد نهج الزرقاوي، إلا أن الزرقاوي قاد جماعته بعيداً جداً، مؤكداً مخاوف الظواهري، إذ ان الانتفاضة الشعبية ضد تنظيم القاعدة في العراق جاءت -الصحوة (صحوة الأنبار)- تساوفاً مع التحول في استراتيجية الولايات المتحدة التي هزمت التنظيم. وقد أكدت الأحداث صواب رأي الظواهري الذي مفاده أن إكراه الناس من خلال العنف والتكتيكات الوحشية سيعمل على عزل الحركة.

56. Thomas E. Ricks, "Situation Called Dire in West Iraq," Washington Post, September 11, 2006, <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/09/10/AR2006091001204.html> .

57. Musab al Zarqawi, letter, trans. Coalition Provisional Authority, US Department of State, February 2004, <https://2001-2009.state.gov/p/nea/rls/31694.htm>.

58. Ayman al Zawahiri, "Zawahiri's Letter to Zarqawi," Combating Terrorism Center, July 9, 2005, <https://www.ctc.usma.edu/posts/zawahiris-letter-to-zarqawi-english-translation-2>.

والتجربة التي استفادت منها الحركة العالمية في العراق هي أنها لا تستطيع البقاء من دون دعم شعبي، وتأكيداً على هذا النهج فقد أعرب عطية عبد الرحمن الناشط في تنظيم القاعدة، عن خوفه في آذار ٢٠٠٧ من أن قيادة تنظيم القاعدة في العراق -على رأسها أبو حمزة المهاجر وأبو عمر البغدادي (خليفة الزرقاوي)- كانت تنفّر الشعب<sup>٥٩</sup>، وتعلم تنظيم القاعدة أيضاً أنه لا يستطيع البقاء بالقوة العسكرية وحدها، فقد وجدت وثيقة عثر عليها في مراسلات تنظيم القاعدة تناقش وضع تنظيم القاعدة في اليمن جاء فيها «نحن يجب ألا نحاول السيطرة فقط لأن لدينا القوة العسكرية التي تمكننا من القيام بذلك، لكن يجب أن نمتلك القدرة على التواصل مع الناس في أحيائهم»<sup>٦٠</sup>. لذا فقد تحول تركيز تنظيم القاعدة على الشعب.

إن الهزائم القوية التي مني بها تنظيم القاعدة في أفغانستان والعراق والقضاء على الخلايا العملياتية (التنفيذية) له في أماكن مثل اليمن، لم تحزم سوى العناصر العسكرية لتنظيم القاعدة والحركة السلفية-الجهادية، إذ لم تفض تلك الهزائم إلى إزالة رغبة الأفراد المتبقين في إعادة التنظيم أو وضع شروط كافية تحول دون عودتهم.

وبدلاً من ذلك استوعبت القيادة العليا لتنظيم القاعدة الدروس التي شهدتها من تلك الهزائم، فقد أعادت التأكيد على ضرورة التركيز على العلاقة مع السكان السنة، واستمد نجاح حركة الشباب في الصومال من قدرتها على توفير الحكم إلى جانب قوتها في شن التمرد<sup>٦١</sup>، وركزت الكثير من مراسلات القيادة الداخلية في أواخر القرن الحادي والعشرين وأوائل عام ٢٠١٠ على حرمة دماء المسلمين -حتى من الشيعة-، ودعوا إلى التخطيط الدقيق لتجنب إراقة دماء المسلمين

59. Combating Terrorism Center, trans., "Letter from [sic] Hafiz Sultan," <https://www.ctc.usma.edu/posts/letter-from-hafiz-sultanenglish-translation-2> ; and SITE Intelligence Group, "Zawahiri Details Relationship with ISIL, Repeats Call to Return to Iraq," May 2, 2014.

60. Office of the Director of National Intelligence, trans., "Three Stages Letter," <https://www.dni.gov/files/documents/ubl2017/english/Three%20Stages%20Letter.pdf>.

61. An excellent survey of al Shabaab's rise in Somalia is Stig Jarle Hansen, *Al-Shabaab in Somalia* (London: Hurst, 2013).



المدينين<sup>٦٢</sup>، وذهبت الحركة السلفية-الجهادية إلى الأرض حتى ترتفع مرة أخرى كقوة متمردة.

درس قادة السلفية-الجهادية إخفاقات الحركة ودعوا إلى إجراء تغييرات استراتيجية وعملياتية من أجل البناء، ومن ثم تقوية العلاقة بالأمة، وقام تنظيم القاعدة على وجه الخصوص بتعديل عملياته وأوصى الجماعات المحلية المرتبطة به على التركيز على البناء والدعم الشعبي، واتبعوا طريقة الوساطة الطريقة التي استخدمها النبي محمد (ص) لكسب القوة في المدينة، وما تزال الوساطة وسيلة أساسية كي تكتسب القاعدة السلفية-الجهادية على الشرعية الأولية داخل السكان، ولم يناقش قادة تنظيم القاعدة في الغالب الطرق الأفضل لقتل الأمريكيين، بل كيفية كسب دعم الأمة والحفاظ عليه بنحو أفضل.

ولم يتوقف تنظيم القاعدة وقادة السلفية-الجهادية عن بذل الجهود من أجل بناء حركة عابرة للحدود الوطنية قوية للسكان المسلمين السنة، فقد تعلموا من الفشل، ومن العمليات التي تم تكييفها على وفق الظروف وظلوا قادرين على البقاء حتى حينما انتابهم الضعف في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وإن أولئك الذين بقوا في ساحة المعركة شهدوا الهزيمة، وقد نجوا من عمليات متواصلة شنتها الولايات المتحدة وشركاؤها في عمليات مكافحة الإرهاب ضدهم، وقد بدأوا يفهمون كيف يوصلون رسالتهم السلفية-الجهادية بطريقة لا يرفضها السكان المحليون على الفور، وكان قادة تنظيم القاعدة والسلفية-الجهادية-الذين يتوزعون على مناطق جغرافية متباعدة- يتجهون صوب هدف مشترك، وقد أصبحت الحركة مرنة ومتكيفة ومعقدة، إلا أنها بقيت ضعيفة وبعيدة عن أهدافها والأشخاص الذين سعوا إلى القيادة والحكم.

٦٢. يختلف الالتزام بمهذبة التوجيهات بين الجماعات المختلفة، فقط استهدفت طالبان الباكستانية في أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين المساجد والشيعية، الأمر الذي أثار توبيخ آدم جادان في كانون الثاني 2011 ومحمود الحسن، وأبو يحيى الليبي في كانون الأول 2010.

See Adam Gadahn, "Letter from Adam Gadahn," Combating Terrorism Center, SOCOM-2012-0000004, <https://www.ctc.usma.edu/posts/letter-from-adam-gadahn-english-translation>. -2; and Mahmud al-Hasan and Abu Yahya al-Libi, "Letter to Hakimullah Mahsud," SOCOM-2012-0000007, Combating Terrorism Center, <https://www.ctc.usma.edu/posts/letter-to-hakimullah-mahsudenglish-translation>. -2. Al Qaeda also holds that it is acceptable to kill Muslim civilians (as human shields) in cases where it is unavoids able. For al Qaeda on human shields, see Abdullah Warius and Jarret Brachman, "Abu Yahya al-Libi's 'Human Shields in Modern Jihad,'" CTC Sentinel, May 15, 2008, <https://www.ctc.usma.edu/posts/abu-yahya-al-libi%E2%80%99s-%E2%80%99Human-shields-in-odernjihad%E2%80%99D>.

## الحركة السلفية-الجهادية اليوم

إن سلسلة من الأحداث الخارجية قد أنجزت لتنظيم القاعدة ما عجز عن القيام به لعقود وهو تحشيد السكان السنة ضد الدول، إذ إن الانتفاضات الشعبية التي أطاحت بالدول في عموم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا -سوريا واليمن ومصر وليبيا وتونس- قد جعلت أهداف الجماهير تتماشى مع تلك التي تتبناها السلفية-الجهادية، فقد سعى كل من التيار السائد من المسلمين السنة -المدفوعين بمظالم مناهضة الحكومة- والسلفية-الجهادية، إلى الإطاحة بالأنظمة؛ وهكذا تم تدشين حقبة بعث تنظيم القاعدة وإتاحة فرصة سانحة للسلفية-الجهادية لتطبيق دروسها التي تعلمتها لاستغلال الحركات العلمانية والديمقراطية في المقام الأول.

### فرصة عام ٢٠١١

لقد اغتنمت الحركة السلفية-الجهادية -ولاسيما قيادة تنظيم القاعدة- الفرصة التي أفضت إلى التغيير الذي جعلها توسع شعبيتها في أوساط السكان المحليين في عام ٢٠١١، وكان الزخم يتعارض مع الحركة السلفية-الجهادية، التي قمعتها الأنظمة الاستبدادية التي شنت الولايات المتحدة وشركاؤها عليها عمليات عسكرية وطردتها من الأراضي التي استولت عليها خارج الصومال، لكن مع ذلك فإن الأساليب القمعية للأنظمة الاستبدادية قد أثارت الاستياء الشعبي الذي تضاعف ليسقط تلك الأنظمة، وأن الربيع العربي -الذي بدأ مع تبنى الولايات المتحدة والغرب سياسات متزايدة من العزلة- خلق الظروف المواتية لظهور السلفية-الجهادية في الظل.

إن إطلاق سراح القادة السلفيين-الجهاديين الذين سجنوا في دول الربيع العربي أدى إلى أن يكونوا بمنزلة مستقبلات محلية تمكنت من خلالها الحركة السلفية-الجهادية العمل، وكان هؤلاء القادة صلات محلية وموثوقة لقيادة جهود المشاركة المحلية، وإن العديد منهم لم يكونوا أعضاء في القاعدة إلا أن صلاتهم بالحركة السلفية-الجهادية توثقت حينما كان الكثير منهم في السجن، وكانت المظالم التي تعرضوا لها في السجن نفسها التي تعرض لها السجناء السياسيون الذين لم تكن لهم علاقة في الحركة السلفية-الجهادية في السابق، وهذه التجربة المشتركة خلقت خطأً من التعاطف بين حركتين لهما رؤيتان مختلفتان بنحو كبير حول المقاصد النهائية.

جلبت الثورات مزيداً من الاضطرابات، وعملت على تحشيد القاعدة الشعبية السنية، والأهداف قصيرة الأجل بين هذه القاعدة الشعبية التي تم تحشيدها والحركة السلفية-الجهادية تتماشى بطريقة مكنت القادة السلفيين-الجهاديين من الإفصاح عن أنفسهم في التمرد المحلي. وروجت قيادة السلفية-الجهادية إلى رواية مفادها أن تردد الغرب بدعم الحركات المحلية -هذا التردد هو متأصل أكثر في شلل السياسة الغربية وليس رفض المثل التي جاء بها الربيع العربي- هو دليل على نفاق الغرب واستمرار دعمه للحكومات الاستبدادية.

إن المآل الذي وصل إليه الربيع العربي المصري -سحق الإسلام السياسي- أسدل الستار في الواقع على النشاط السياسي بوصفه وسيلة لتحقيق دولة إسلامية، وصحيح أن المصريين انتخبوا عضو جماعة الإخوان المسلمين بالتصويت الشعبي في أول انتخابات رئاسية تنافسية في البلاد في صيف عام ٢٠١٢، إلا أن أفعال مرسي حين تسنمه الرئاسة ولدت قناعة لدى الكثيرين -داخل مصر وخارجها على السواء- بأنه من الخطورة بمكان السماح للإخوان المسلمين بأن يعملوا في المجال السياسي، فقام الجيش المصري -بدعم خارجي- بالإطاحة بمرسي، وسرعان ما استخدم أعضاء تنظيم القاعدة «الرصااص لا الإقتراع»، وهي عبارة مجازية لتجنيد المقاتلين، وهو المفهوم الذي تردد صداه داخل الحركة العالمية<sup>٦٣</sup>. وقد قامت حكومات عربية أخرى بقمع أحزاب الإخوان المسلمين في المنطقة، وقد عززت هذه الإجراءات الفكرة القائلة بأن العمليات السياسية لن تقدم الإنصاف لمظالم الإسلاميين، وعملت على زيادة الاستقطاب بالمنطقة بدفع الإسلاميين السياسيين صوب العنف لحماية منظومة معتقداتهم<sup>٦٤</sup>.

٦٣. الشباب: هي شبكة نشطة على تويتر تابعة للقاعدة في ذلك الوقت ونشرت على الموقع في ذلك الوقت «التغيير يأتي بالرصااص وحده وليس بالاقتراع».

American Enterprise Institute, Critical Threats Project, "Gulf of Aden Security Review," July 5, 2013, <https://www.criticalthreats.org/briefs/gulf-of-aden-security-review/gulf-of-aden-security-review-july-5-2013>. For al Qaeda's response to the ousting of Mohamed Morsi, see Robin Richards, "The al Qaeda Network's Response to Egypt," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, July 23, 2013, <https://www.criticalthreats.org/analysis/the-al-qaeda-network-responds-to-egypt>.

٦٤. أشار ناثان براون في ورقة لكارنيجي إلى أن عزل مرسي والصراع الذي أعقب ذلك بين الإخوان المسلمين المصريين والحكومة الجديدة قاد البعض في الأزهر لرؤية الصراع على أنه صراع بين الدين والعلمانية؛ الأمر الذي قاد بعضهم للانخراط مع جماعة الإخوان المسلمين. وكتب جورج فهمي لجائهم هاوس أن عدد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في مصر الذين يتجهون إلى العنف ما يزال أقل مما كان متوقعاً، إلا أن هناك أمور تحذيرية تشير إلى أن زيادة الدعم لاستخدام العنف قد تأتي على المدى القريب، وهو يصف التوترات داخل حركة الإخوان المسلمين بين الذين عانوا من الإخفاقات حينما استخدمت الحركة العنف والأعضاء الجدد الذين لا يعرفون سوى هزيمتها السياسية، ويدعو هؤلاء الأعضاء الجدد إلى استخدام العنف المحدود في نهجهم- هو «النهج المؤلم لا عنيف- بدلاً من الصراع الشامل.

See Nathan J. Brown, "Official Islam in the Arab World: The Contest for Religious Authority," Carnegie Endowment for International Peace, May 11, 2017, <http://carnegieendowment.org/2017/05/11/political-islam-in-arab-world-contest-for-religious-authority-pub-69929>; and Georges Fahmi, "Why Aren't More Muslim Brothers Turning to Violence?," Chatham House, April 27, 2017, <https://www.chathamhouse.org/expert/comment/why-aren-t-more-muslim-brothers-turning-violence>.

إن الطائفية وسياسات القوة الإقليمية أدت إلى دعم الحركة السلفية-الجهادية، فقد عززت سلسلة من قرارات السياسة الأمريكية المتصلة بالاتفاق النووي الرواية الدعائية التي بثتها الحركة السلفية-الجهادية بأن الولايات المتحدة لا تدعم السنة، وشجعت النظام الإيراني على التدخل. وقد عدت المعارضة المسلحة السورية رد الولايات المتحدة على الهجوم الكيماوي لنظام الأسد في آب ٢٠١٣ خيانة للوعود التي قطعها الرئيس الأمريكي باراك أوباما لعام قبل الهجوم<sup>٦٥</sup>، وقرأت دول الخليج الردود غير المقنعة على السلوك العدواني المتزايد من السفن البحرية الإيرانية في الخليج العربي بمنزلة قبول أمريكي لتمدد النفوذ الإيراني، وسعوا إلى صد إيران واحتواء تمددها، وحددوا سوريا ساحة المعركة الرئيسة التي يتعين عليهم القيام بذلك؛ وتساوقاً مع ذلك فقد سعت دول الخليج لملء الفراغ الذي خلفته الولايات المتحدة في سوريا، لكن ازدياد انحراطها هدد إيران ووكلائها أيضاً؛ الأمر الذي عجل بإضفاء الطابع الإقليمي على الحرب الأهلية في سوريا، وصنفت دول الخليج الحركة الجهادية-السلفية على أنها أقل تهديداً من إيران، ومن ثم جعلت تقديم مساعدتها لسوريا تعتمد على هذا المعيار، وقد ساعد تفاعل هذه التطورات على تعزيز الاتجاهات الطائفية التي لم تؤد إلا إلى زيادة تمكين الحركة السلفية-الجهادية.

### عودة ظهور القاعدة

وضع تنظيم القاعدة نفسه كداعم للحركات المحلية والدينية أو غيرها، إبان الربيع العربي عام ٢٠١١، وقد وضعت الشبكة العالمية التنظيم للتنسيق عبر مساح العمليات وللقيام بضخ الموارد في الصراعات المحلية من أجل تنميتها. واستغل تنظيم القاعدة شبكاته الإنسانية العميقة والمتداخلة لإعادة إقامة العلاقات مع قيادات الجماعات السلفية-الجهادية متعهداً بتقديم الدعم والتوجيه الاستراتيجي، وأصبحت الفروع المحلية التابعة لتنظيم قاعدة بمنزلة محطات لنقل الموارد استراتيجياً داخل الحركة السلفية-الجهادية، بحيث أقام تنظيم القاعدة علاقات مع هذه الحركة لجميع الانتفاضات الشعبية تقريباً.

وعوض الزخم الهائل لتنظيم القاعدة خسارته لزعيمة الكاريزمي أسامة بن لادن في آيار ٢٠١١. وبدأ يعمل تحت أسماء جديدة من قبيل أنصار الشريعة وأنصار الدين وجبهة النصرة. وضمت جماعة أنصار الشريعة الموجودة في كل من ليبيا وتونس قادة محاربين سلفيين-جهاديين كانوا قد قاتلوا ضد السوفيت أو تلقوا تدريبات في أفغانستان، وكانوا معروفين بوصفهم قادة كباراً في تنظيم القاعدة، وحكمت أنصار الشريعة الليبية المدن والبلدات بعد الحرب الأهلية الليبية عام

65. Barack Obama, "Remarks by the President to the White House Press Corps," White House, August 20, 2012, <https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/2012/08/20/remarks-president-white-house-press-corps>.

٢٠١١. وكانت جماعة أنصار الشريعة التونسية وراء سلسلة من اغتياالات الشخصيات السياسية التونسية العلمانية الرائدة. والأبعد من ذلك في أفغانستان، حيث بدأت حركة طالبان في الظهور وقامت باستعادة المناطق التي كان يدير فيها تنظيم القاعدة معسكرات التدريب، وقد أدى تنظيم القاعدة أدواراً مهمة في كل من اليمن ومالي ثم سوريا.

وكان تنظيم القاعدة في اليمن التابع لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP)، بقيادة السكرتير الخاص لأسامة بن لادن ناصر الوحيشي (أبو بصير)، في وضع أفضل ليتوسع في العام ٢٠١١، إذ عمل التنظيم على تأسيس الملاذات في اليمن خارج النطاق الذي يمكن أن تصل إليه الحكومة وساعدها في ذلك توقف الولايات المتحدة عن الضربات الموجهة في البلد بعد مقتل الوسيط القبلي. وطبق تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) درس تنظيم القاعدة للحد من إراقة دماء المدنيين؛ لذا فقد حرص التنظيم على استهداف الأجانب وأعضاء الحكومة اليمنية وقوات الأمن فقط، وأخذ يتوسع منذ عام ٢٠٠٦ صعوداً<sup>٦٦</sup>، واستغل قادة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) فهمهم للمجتمع اليمني كي يستجيبوا للمظالم الشعبية ضد الحكومة.

قبل الربيع العربي كان تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) يزرع تحت الحد الأدنى من الضغط، وكان ردُّ فعله سريعاً ليحل محل ما خلفته الدولة اليمنية حينما انحارت. وناقش كل من ابن لادن والوحيشي وضع القاعدة في بداية الاحتجاجات في اليمن مع التركيز على ما إذا كان الوحيشي يتمتع بدعم شعبي مهم لقيادة الجهود الرامية إلى إقامة

٦٦. تستمر حساسية القاعدة إزاء أرواح المدنيين وشجعت الخطوات التي من شأنها تفادي ضرب المدنيين، وقد اعتذرت القيادة ودفعت المال (الدية) على وفق العرف المحلي حينما أخطأت الجماعة، كما هو الحال في التفجير الانتحاري الذي وقع في أثناء عرض العسكري في آيار 2012 والهجوم المركب على المستشفى العسكري في العام 2013.

Katherine Zimmerman, paper on AQAP after the Arab Spring and rise of ISIS, Washington Institute for Near East Policy, forthcoming; and Katherine Zimmerman, "Yemen's Pivotal Moment," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, February 12, 2014, <https://www.criticalthreats.org/analysis/yemens-pivotal-moment>.

أظهرت لقطات فيديو نشرها تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية AQAP عبوات ناسفة (IED) تستهدف مركبات عسكرية يمنية وكذلك تظهر مركبات مدنية تمر فوق العبوات الناسفة بأمان (IED)، ينظر:

SITE Intelligence Group, "AQAP Video Shows Manufacture, Use of IEDs on Yemeni Soldiers in Hadramawt," July 20, 2015.

دولة إسلامية<sup>٦٧</sup>. واستشهد ابن لادن بتجربة الأنبار في أثناء الاستعلام عن علاقة الوحيشي مع القبائل قائلاً: «إذا كان المجاهدون يحسنون التعامل مع القبائل، فإن القبائل على الأرجح ستتجه صوبهم، إذ إن تأثير الدم على المجتمعات القبلية كبير»<sup>٦٨</sup>، وقد شبه ابن لادن جهود تنظيم القاعدة بالجرس، وهو المفهوم الذي ظهر من جديد في مراسلات القاعدة في وقت لاحق؛ للإشارة إلى ضرورة إعداد كل العناصر المطلوبة قبل إطلاق المشروع، وأردف قائلاً: «إذا بدأت من دون توفر الأمور المادية الضرورية فإن الجسر سينهار، أي جهود تنظيم القاعدة»، وقد ركزت توجيهات ابن لادن على العناصر المطلوبة للنجاح، أي الدعم الشعبي، وما إذا كان تنظيم القاعدة سيحتفظ بهذا الدعم إذ ما واجه ضغطاً عسكرياً؛ لذا فإن القوة العسكرية لتنظيم القاعدة في اليمن كانت أولوية ثانوية.

سيطر تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) على أجزاء من جنوب اليمن من خلال قوة التمرد التي تم نشرها في الميدان، وهي أنصار الشريعة، وأسقطت القوة الجديدة اسم تنظيم القاعدة عنها وكانت عضويتها محلية (الأنصار)، وكان نشاط تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) هم قادة أنصار الشريعة، ولكن لم يكن جميع أعضاء أنصار الشريعة أعضاء في تنظيم القاعدة؛ وكان ذلك وسيلة لتوسيع القاعدة الشعبية في اليمن من دون المساس بمكانة تنظيم القاعدة كطليعة. وحكمت أنصار الشريعة لمدة عام تقريباً بدعم من القبائل المحلية، التي سعت إلى الاستقرار والأمن، ونشرت أعمالها الجيدة مثل تقديم الخدمات كإصلاح الطرق والأنشطة الخيرية،

٦٧. أصدر مكتب مدير المخابرات الوطنية بعض الوثائق التي تم العثور عليها خلال غارة آبوت آباد التي وقعت في آيار 2011 التي أسفرت عن مقتل أسامة بن لادن. وكشفت سلسلة من الرسائل بين ناصر الوحيشي (أبو بصير) وأسامة بن لادن، ومحمود الحسن (العطية) عن عملية صنع القرار.

Zamarai, "Letter to Abu Basir," Office of the Director of National Intelligence 2017, <https://www.dni.gov/files/documents/ubl2017/english/Letter%20to%20Abu%20Basir.pdf> ; Abu Basir, "Letter from Basir to the Brother in Command," Office of the Director of National Intelligence, <https://www.dni.gov/files/documents/ubl2016/english/Letter%20from%20Basir%20to%20the%20Brother%20in%20Command.pdf>; Office of the Director of National Intelligence, trans., "Letter to Abu Basir," 2016, <https://www.dni.gov/files/documents/ubl2016/english/Letter%20to%20Abu%20Basir.pdf> ; and Attiya, "Letter from Atiyah to Abu Basir," Office of the Director of National Intelligence, <https://www.dni.gov/files/documents/ubl2017/english/Letter%20from%20Atiyah%20to%20Abu%20Basir.pdf>.

68 -Zamarai, "Letter to Abu Basir," 2017.



وبدأت أيضاً بفرض الشريعة، ومن ثم تنفيذ عقوبات الحد؛ لذا بدأت أنصار الشريعة تفقد الدعم الشعبي، إذ تم إصلاح الحكومة اليمنية في أواخر عام ٢٠١١، ووعدت بتقديم الموارد، وكذلك رفضت المجتمعات نمط الحياة الصارمة ولاسيما بعد عملية الإعدام في شباط ٢٠١٢. وبحلول عام ٢٠١٢ قام الجيش اليمني والمليشيات القبلية المتحالفة معه بطرد تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) وأنصار الشريعة من جنوب اليمن. إذ إن التجربة في اليمن -نجاحها على المدى القصير وانحيارها النهائي- استفاد منها تنظيم القاعدة في مالي وسوريا الجبهتين الجديدتين للتنظيم العالمي، إذ نصح أمير تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) نظيره الجزائري -الذي أشرف على صعود القاعدة في مالي- على تنفيذ الشريعة تدريجياً؛ حتى لا يستعدي الناس، وأن يتجنب إعلان الدولة؛ لأنها ستثير الغرب ولأن السكان سيتوقعون بعدها أن يتم تلبية جميع طلباتهم<sup>٦٩</sup>. زد على ذلك ما ورد في المجموعة المجتزأة من الوثائق التي عثر عليها والتي أطرت استراتيجية تنظيم القاعدة في مالي<sup>٧٠</sup>، وكانت الفكرة اختطاف التمرد المحلي في أزواد، ووصفت الوقت «بأنه فرصة تاريخية يجب استغلالها من أجل التفاعل مع شعب أزواد، بما في ذلك جميع قطاعاته، بهدف توحيدها وحشدتها وراء مشروعنا الإسلامي من خلال تبني قضيتنا العادلة وتحقيق أهدافنا المشروعة، في الوقت الذي يمنحها مسحة إسلامية أصيلة»، وقد أقرت قيادة تنظيم القاعدة بأن التنظيم لن يكون في الصدارة، إلا إذا عملت المنظمات المحلية التي كان يقودها على بناء جسور مع مختلف القطاعات في المجتمع: «فالهدف من بناء هذه الجسور هو من أجل إنهاء عزلة مجاهدينا في المجتمع، ولاندماج مع مختلف الفصائل بما في ذلك القبائل الكبيرة وحركة التمرد الرئيسة وزعماء القبائل»، وركزت القاعدة على النجاحات العسكرية ومسك الأرض، ولكن لم يتمكنوا من التواصل مع السكان.

نفذ تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (AQIM) الخطة من خلال إحدى الجماعات التابعة له، وهي أنصار الدين، وهذه الجماعة بالأساس هم شركاء الطوارق الذي تمردوا ضد الدولة المالية (دولة مالي) للسيطرة على إقليم أزواد. وقد وفر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب

69-Rukmini Callimachi, "Yemen Terror Boss Left Blueprint for Waging Jihad," Associated Press, August 9, 2013, <http://www.pulitzer.org/files/2014/international-reporting/callimachi/08callimachi2014.pdf>. For the letters, see Associated Press, "Al-Qaida Papers," [http://hosted.ap.org/specials/interactives/\\_international/\\_pdfs/al-qaida-papers-how-to-run-a-state.pdf](http://hosted.ap.org/specials/interactives/_international/_pdfs/al-qaida-papers-how-to-run-a-state.pdf).

70 -Rukmini Callimachi, "In Timbuktu, al-Qaida Left Behind a Manifesto," Associated Press, February 14, 2013, <http://www.pulitzer.org/files/2014/international-reporting/callimachi/04callimachi2014.pdf>. For the translated documents, see Associated Press, "Mali-al-Qaida's Sahara Playbook," [http://hosted.ap.org/specials/interactives/\\_international/\\_pdfs/al-qaida-manifesto.pdf](http://hosted.ap.org/specials/interactives/_international/_pdfs/al-qaida-manifesto.pdf).



الإسلامي (AQIM) والجماعة التي انشقت عنه قدرات هجومية واسعة النطاق لدعم الهجوم في العام ٢٠١٢. ثم انتقلت جماعة أنصار الدين -بمباركة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (AQIM)- إلى إقامة حكم قائم على الشريعة الإسلامية، واتخذت تمبكتو كعاصمة، ثم تحولت الجماعة ضد فصائل الطوراك التي قاومت سلطة الشريعة الإسلامية، وتهميش الجماعات نفسها التي بدأت التمرد في أزواد. وقد تقدم أنصار الدين جنوباً في مالي؛ الأمر الذي أدى إلى التدخل الفرنسي في كانون الثاني ٢٠١٣ فعمل على تنحية أنصار الدين عن حكم السكان مرتين في غضون عامين، وأنشأ تنظيم القاعدة حكم يستند إلى الشريعة الإسلامية ليتم تنحيته بالتدخل العسكري. وفي كلتا الحالتين تم الإطاحة بالقوة المتمردة المحلية بمساندة السكان المحليين.

وقد عمل تنظيم القاعدة في سوريا على تحسين النموذج، إذ ازدادت فاعليته ليس في التركيز على العلاقات مع الجماعات المختلفة فحسب، بل والاندماج مع المجتمع أيضاً<sup>٧١</sup>. وبدأ تنظيم القاعدة ببناء الدعم من خلال عملياته العسكرية، لكنه تفرغ ليؤسس الحكم في المناطق التي تقع خارج سيطرة نظام الأسد، وقد ساعدت جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة السوري على إنشاء لجان شرعية في المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة في العام ٢٠١٣، التي لم تكن تضم أعضاء جبهة النصرة فحسب بل مثلت فصائل محلية أيضاً<sup>٧٢</sup>، وقد قال أبو محمد الجولاني -زعيم القاعدة في سوريا- تعقيباً على توجيهات أيمن الظواهري:

«نحن ملتزمون بهذا، وهذا جزء أساس من العمل الجهادي بنحو عام بما في ذلك عمل القاعدة، ونحن لن نفرض حاكماً على الشعب نسعى إلى تنفيذ الشريعة، وينبغي أن يكون أي حاكم ملتزماً بقواعد الشريعة وأن يكون مؤهلاً لها، ثم بعدها نقبله؛ وفي هذا الصدد فإننا نقبل ما يقبله الناس؛ ولهذا فإن هذه التوجيهات حكيمة على وفق القرآن والسنة، وإن مثل هذا التوجيه يهدف فقط لتحقيق الألفة والوحدة مع السنة الآخرين في البحر الذي نسبح فيه<sup>٧٣</sup>.

وقد استفادت الجماعة من الخيانة المتصورة من الغرب بعد هجمات الأسلحة الكيميائية في آب عام ٢٠١٣؛ من أجل دمج نفسها أكثر ضمن صفوف المعارضة، وبدأت بتحويل طبيعة المعارضة السورية المسلحة للتحالف بشكل أوثق مع جهودها، وهي تعمل بنشاط على توطيد القوة

71 -Jennifer Cafarella, "Jabhat al Nusra in Syria," Institute for the Study of War, December 2014, <http://www.understandingwar.org/report/jabhat-al-nusra-syria>.

72 -BBC News, "Syria's Al-Nusra Front Leader Interviewed on Conflict, Political Vision," BBC Monitoring Worldwide, December 2013 (accessed April 24, 2017, via LexisNexis).

73 -Ibid.

في سوريا<sup>٧٤</sup>.

وقد أصدر أمير تنظيم القاعدة إيمن الظواهري مبادئ توجيهية عامة للجهاد في أيلول ٢٠١٣ وضعت لجميع المقاتلين قواعد الاشتباك مع جماعات العدو المختلفة، وكذلك توجيهات حول كيفية إشراك الجماهير الإسلامية<sup>٧٥</sup>. ومن الجدير بالذكر، أن الظواهري أكد على العنصر غير العسكري في الجهاد من خلال الدعوة إلى تحشيد الجماهير خلف قوة الطليعة الإسلامية. وأمر الظواهري أتباعه بالامتناع عن قتل غير المقاتلين، وإيذاء المسلمين من خلال النيران غير المباشرة، أو تدمير ممتلكاتهم، واستهداف المساجد والأسواق والأماكن العامة الأخرى. ودعا إلى التعاون مع الجماعات الأخرى للتوحد ضد الأعداء، وأعلن أن تنظيم القاعدة يعطي الأولوية أولاً للعدو البعيد -الولايات المتحدة- والعدو القريب فقط للدفاع عن النفس كما هو الحال في المغرب وأفغانستان وسوريا والعراق والصومال واليمن. وأظهرت توجيهات الظواهري أن القاعدة واصلت تبني دورها كرأس حربة وقوة الطليعة، ولكنها تهدف أيضاً إلى بناء علاقات مع القاعدة الشعبية وضمان ان القاعدة كطليعة لا تنفصل عن تلك القاعدة (الشعبية).

### انحراف الدولة الإسلامية

على الرغم من أن الغزوات المثيرة التي قام بها داعش أستحوذت على إهتمام العالم، إلا أن هذه الجماعة ليست سوى انحراف عن التيار الرئيس للحركة السلفية-الجهادية العالمية. فسياستها البربرية لغرس الخوف واعتمادها على القوة لإجبار الآخرين على تغيير دينهم تتعارض مع تعاليم الحركة العالمية، ومع الإسلام كما يرى كثيرون<sup>٧٦</sup>؛ إذ إن تغيير الدين في الإسلام بحد السيف هو أمر محرم، ومع ذلك لا يمكن غض الطرف عن إسهام داعش في الحركة. إذ إن داعش هي تجمع عالمي من الأفراد الذين يجتمعون حول فكرة بعث الخلافة الآن، والعمل على تحشيد دعم الحركة السلفية-الجهادية في سبيل تحقيق ذلك الهدف، وهذا التأثير سيعمل على إطالة أمد صمود الدولة الإسلامية

74 -Jennifer Cafarella, Harleen Gambhir, and Katherine Zimmerman, "Jabhat al Nusra and ISIS: Sources of Strength," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, and the Institute for the Study of War, February 11, 2016, <https://www.criticalthreats.org/analysis/jabhat-al-nusra-and-isis-sources-of-strength>.

75 -SITE Intelligence Group, "Zawahiri Gives General Guidelines for Jihad Regarding Military, Propaganda," September 13, 2013.

٧٦- إن الاختلاف الواضح في تفسير الإسلام السائد قاد الدول العربية إلى الإعلان بأن داعش غير إسلامية وأن أعضاء داعش غير مسلمين، وشاركت الأردن والإمارات العربية المتحدة وغيرها في الضربات الجوية بقيادة الولايات المتحدة ضد داعش في سوريا، وشنت مصر ضربات ضد داعش في ليبيا.

طالما سعت إلى تحقيقه، وقد أظهر الصعود السريع لداعش في العراق كيف يمكن لجماعة صغيرة من النشطاء والقادة السلفيين-الجهاديين المخضرمين أن يستغلوا الظروف لإعادة تشكيل جماعة متمردة، وتحويل تلك الجماعة إلى حركة عالمية؛ فقد ظهرت داعش من رماد هزيمة تنظيم القاعدة، وأعطت السياسات الطائفية في العراق زخماً كبيراً لها. وقد انشقت داعش عن تنظيم القاعدة حينما أعادت تسميتها لتصبح داعش ISIS في نيسان ٢٠١٣. والجدير بالذكر أنه في أيلول ٢٠١٣ حذرت جيسكا لويس ماكفيت Jessica Lewis McFate الباحثة في معهد دراسات الحرب، من عودة تنظيم القاعدة إلى العراق<sup>٧٧</sup>. وتوقعت عودة التمرد السلفي-الجهادي القوي هناك<sup>٧٨</sup>.

وفي حزيران ٢٠١٤ دعا أبو بكر البغدادي -الذي أعلن نفسه خليفة- إلى تأييد المسلمين على الصعيد العالمي لحكمه مستنداً إلى أن الواجب الديني يحتم الاعتراف بالخلافة حين عودتها<sup>٧٩</sup>، وشدد على التمسك الصارم بالتفسير المحافظ الراديكالي للإسلام، وأكد استعداد داعش لاستخدام الوحشية من أجل الوصول إلى المرحلة العالمية، وسرعان ما بدأ الأفراد والجماعات خارج العراق

77 - Jessica Lewis McFate, "Al-Qaeda in Iraq Resurgent," Institute for the Study of War, September 10, 2013,

<http://www.understandingwar.org/report/al-qaeda-iraq-resurgent>.

٧٨- جادل قادة الفكر السلفي الجهادي بأن الجهاد العنيف كان فرض عين (التزاماً فردياً) منذ سقوط الخلافة، وقد تضمن فيديو لتنظيم القاعدة عام 2017 ضم أمين الظواهري وكذلك تسجيلاً لعبد الله عزام يناقش فيه واجب الجهاد، يقول عزام «إنه فرض عين منذ سقوط الخلافة... لذا فهو ليس فرض عين في أفغانستان فحسب... والعجب العجيب والأمر الغريب من هؤلاء الذين ما يزالون يناقشون الجهاد هل هو واجب فردي أم جماعي؛ أنا لا أعرف من أين جاء هؤلاء الناس معارفهم.... إذا كانوا قد درسوا كتاب واحد من الفقه فكما هو معروف جيداً أن المهاجم يجب أن يرد، المهاجم الذي يستولي على الناس ويريد أن يأخذ ثرواتهم ويهاجم شرفهم أو دينهم أو بلدهم، فمن المعروف جيداً أن التصدي له هو فرض عين.

” Al-Sahab Media Production, “Al-Sahab Media Production Releases al-Zawahiri’s ‘Review of Events’ Video,” trans. Bryn Mawr, December 18, 2007, <https://scholarship.tricolib.brynmawr.edu/bitstream/handle/10066/4671/ZAW20071216.pdf>.

٧٩- إن إعلان داعش للخلافة تردد صدها داخل الحركة السلفية-الجهادية وخارجها. وإن شرط الاعتراف بالبغدادي يتوقف على ما إذا كان مسلماً حقيقياً، وما إذا كانت الخلافة نفسها مشروعة. وقد جادل تنظيم القاعدة ضد شرعية الخلافة، وأعربت بعض الجماعات السلفية-الجهادية عن دعمها للخلافة الإسلامية ولكنها لم تعترف بها، فيما يعتقد الآخرون أن الخلافة قد عادت.

وسوريا بتلبية دعوته، وفي تشرين الثاني عام ٢٠١٤ اعترفت داعش بخمس ولايات جديدة<sup>٨٠</sup>. وبحلول كانون الثاني تمكنت داعش من الادعاء بأنها أهدمت الهجمات على الصعيد العالمي<sup>٨١</sup>.

إذ قامت داعش ببناء شبكة عالمية لربط فروعها المنتشرة مع الجماعة القاعدة في العراق وسوريا، وتوسعت في الأراضي الإسلامية من خلال جمع تعهدات الولاء من الجماعات الموجودة أو التي تشكلت حديثاً. وقد قدمت داعش في البداية الموارد -ولاسيما التمويل- إلى الولايات التي تعهدت لها بالولاء حديثاً<sup>٨٢</sup>. إن أيديولوجية داعش طلبت من كل الجماعات الجديدة العضوية الخضوع لسلطة الخليفة، وتطبيق رؤية داعش للإسلام، وعلى الرغم من أن داعش عادةً ما ترسل الأفراد الموثوق بهم الذين تدربوا أو التقوا بالقيادة في العراق وسوريا ليكونوا كادر القيادة المحلية،

٨٠- اعترفت قيادة بوكو حرام بالخلافة والبغدادية كسلطة دينية. ولم تعترف داعش بالجماعة التي أتبعته ممارسات ضد أيديولوجية داعش ومن الأمثلة على ذلك ممارسة بوكو حرام في إستبعاد المرتدين المسلمين. داعش يحظر هذه الممارسة (العقوبة على الردة هي الموت).

Jacob Zenn, conversation with author.

٨١- قتل أميدي كوليبالي ضابط شرطة في مونتروج بباريس وأربعة أشخاص في مطعم يهودي في باريس، وادعى أن هجماته باسم داعش وذكر أنه قام بذلك انتقاماً من الهجمات الغربية ضد مسلحي التنظيم.

See also Tim Lister et al., “ISIS Goes Global:143 Attacks in 29 Countries Have Killed 2,043,” CNN, February 23, 2017, <http://www.cnn.com/2015/12/17/world/mapping-isis-attacks-around-the-world/>; and Stacy Meichtry, Noémie Bisserbe, and Benoît Faucon, “Paris Attacker Amedy Coulibaly’s Path to Terror,” WallStreet Journal, January 14, 2015, <https://www.wsj.com/articles/paris-attackers-path-to-terror-1421204761>.

٨٢- يشير التقرير إلى أن داعش وقّرت موارد كافية للولايات الجديدة بحيث يمكن أن تتفوق الجماعات السلفية-الجهادية القائمة مالياً وتوفر أجوراً أفضل للمقاتلين.

See ISIS in Yemen as an example. Elisabeth Kendall, “Al-Qaida and Islamic State in Yemen: A Battle for Local Audiences,” in Jihadism Transformed: Al-Qaeda and Islamic State’s Global Battle of Ideas, edited by Simon Staffell and Akil Awan (London: Hurst Publishers, 2016), 89–110, [https://www.academia.edu/15757466/Al-Qaida\\_and\\_Islamic\\_State\\_in\\_Yemen\\_A\\_Battle\\_for\\_Local\\_Audiences](https://www.academia.edu/15757466/Al-Qaida_and_Islamic_State_in_Yemen_A_Battle_for_Local_Audiences); and Katherine Zimmerman, “Province Ties to the Islamic State Core: The Islamic State in Yemen,” in Beyond Syria and Iraq: Examining Islamic State Provinces, edited by Katherine Bauer (Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 2016), 24–29, [https://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/pubs/PolicyFocus149\\_Bauer.pdf](https://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/pubs/PolicyFocus149_Bauer.pdf).

المكلف بفرض الالتزام بأيدولوجية داعش<sup>٨٣</sup>، إلا أن هناك حالات أصبح فيها زعيم محلي زعيم إحدى ولايات داعش، ومع ذلك كان هؤلاء القادة أساساً من القادة العتيدين في الجماعات المحلية. وقد إعترفت داعش بالولاية الرسمية لخلافتها في اليمن والسعودية والجزائر وليبيا وسيناء وأفغانستان ونيجيريا والقوقاز<sup>٨٤</sup>، وتختلف هذه الفروع من حيث الحجم والقدرة، لكن لا شيء يظهر مستوى التطور في تصميم الحملات السياسية-العسكرية كالتي تمتلكها الجماعة في العراق وسوريا. وتنفذ جميع هذه التنظيمات من خلال الشروخ أو التصدعات داخل المجتمع وتستغل الديناميات المحلية من أجل تحشيد القاعدة السنية، التي هي علامة على نفوذ الجماعة في العراق.

لم تكتمل شبكة داعش بنحو كلي وربما ما تزال مفككة بفعل استهداف روابطها، وإنه ليس من الواضح ما إذا كانت لداعش شبكة بشرية قوية تقف وراءها، كشبكة القاعدة التي تطورت على مدى عقود من التجارب المشتركة؛ لكنَّ هناك عدداً قليلاً نقاط الاتصال والتنسيق بين الفروع الرئيسية لداعش؛ الأمر الذي يؤشر على أن داعش بدأت بتطوير خطوط أفقية للدعم بين فروعها، فضلاً عن الخطوط العمودية التي تعود إلى الجماعة في العراق وسوريا<sup>٨٥</sup>؛ إذ مثل هذه التطورات تقلل من ضرورة احتفاظ فرع من فروعها بخطوط اتصال مباشرة مع القيادة المركزية، وعضواً عن ذلك يعهد لجماعات معينة لتنسيق الأنشطة الإقليمية وبناء شبكات محلية محورية. إن داعش بوصفها منظمة شبكية ربما تكون عرضة للضغط المستمر على بعض المفاصل، ولكن داعش كفكرة -فكرة الخلافة- هي أكثر تحدياً وأكبر إسهاماً من الجماعة في الحركة السلفية-الجهادية العالمية.

فالحاجة العاجلة والملحة لدعوة داعش للجهاد حفزت الدعم في كل من العالم ذي الأغلبية المسلمة والأهم من ذلك من الغرب، فقد لبي آلاف من المقاتلين دعوة داعش للقتال في العراق وسوريا عام ٢٠١٤ ضد الشيعة والسلطة المفروضة من الغرب، وكان هناك بالفعل تحشيد عالٍ في

٨٣- على سبيل المثال قبل إن أمير داعش في ليبيا قد أرسل من سوريا.

See Emily Estelle and Katherine Zimmerman, "Backgrounder: Fighting Forces in Libya," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, March 3, 2016, <https://www.criticalthreats.org/analysis/backgrounder-fighting-forces-in-libya> .

84 -Harleen Gambhir, "ISIS-Linked Regional Activity: June 2015," Institute for the Study of War, June 27, 2015, <http://www.understandingwar.org/backgrounder/isis-linked-regional-activity-june-2015>.

85 -For example, Salmi Salama Salim Sulayman 'Ammar was ISIS Wilayat Sinai's representative in Libya. US Department of the Treasury, "Treasury Designates al-Qaida, al-Nusrah Front, AQAP, and ISIL Fundraisers and Facilitators," press release, May 19, 2016, <https://www.treasury.gov/press-center/press-releases/Pages/j10462.aspx>.

سوريا لقتال نظام الأسد المدعوم من إيران، وبحلول نهاية عام ٢٠١٣ كان هناك في الواقع أكبر تحشيد للمقاتلين الأجانب بالعالم الإسلامي في العصر الحديث<sup>٨٦</sup>. وعلى الرغم من أن التحشيد لم يكن رداً على الاحتلال الأجنبي أو وجود قوات أجنبية -وهي الوسيلة الرئيسة التي استخدمها تنظيم القاعدة لتجنيد المقاتلين- إلا أن الاستجابة لدعوة داعش تجاوزت من سبقها بكثير<sup>٨٧</sup>، فقد لاقت هذا الصدى كون الحرب الطائفية اندلعت في كل من العراق وسوريا أظهرت تحالفاً قوياً ضد السكان السنة الضعفاء، وفيما يخص المقاتلين الذين إنضموا إلى ذلك، كان الزخم الذي حازته داعش دليلاً على أنها تتبع الطريق الحقيقي إلى الله وبالتالي الطريق إلى النصر.

وقد أدت استجابة الغرب المتوقعة لصعود داعش -التحالف العسكري- إلى إضعافها كمنظمة في العراق وسوريا، ولكنها لم تعمل على تحجيم تأثيرها على الحركة السلفية-الجهادية، وربما تسببت الخسائر في العراق وسوريا وليبيا في تحجيم تدفق المقاتلين الأجانب إلى داعش، ولكنهم أيضاً تلقوا توجيهات منها للبقاء في الغرب من أجل القيام بهجمات صغيرة النطاق<sup>٨٨</sup>، وهذه الهجمات -التي تبدأ من التوجيه إلى التمكين إلى الإلهام<sup>٨٩</sup>- تحدث بوتيرة تنذر بالخطر،

٨٦- يشير توماس هيغامر إلى أن الجهاد ضد السوفيت ربما يكون قد استقطب مزيداً من المقاتلين الأجانب خلال الحرب التي استمرت عشر سنوات، بيد أنه لم يكن هناك أكثر مما يقدر بين ٣ إلى ٤ آلاف مقاتل أجنبي في أفغانستان، ووصل العدد في سوريا إلى ٥٠٠٠.

Thomas Hegghammer, "Syria's Foreign Fighters," Foreign Policy, December 9, 2013, <http://foreignpolicy.com/2013/12/09/syriasforeign-fighters/>.

٨٧- أفاد إريك شميت وسوميني سينغوبتا بأن تقييم استخباراتي أمني سري قد قدر أن ٣٠,٠٠٠ مقاتل ذهبوا إلى العراق وسوريا للمدة من ٢٠١١ إلى ٢٠١٥، وقد قدر التقييم نفسه حوالي ١٥ ألف مقاتل كانوا قد سافروا من ٢٠١١ إلى ٢٠١٤.

Eric Schmitt and Somini Sengupta, "Thousands Enter Syria to Join ISIS Despite Global Efforts," New York Times, September 26, 2015, <https://www.nytimes.com/2015/09/27/world/middleeast/thousands-enter-syria-to-join-isis-despite-global-efforts.html>.

88 -Griff Witte, Sudarsan Raghavan, and James McAuley, "Flow of Foreign Fighters Plummets as Islamic State Loses its Edge," Washington Post, September 9, 2016, [https://www.washingtonpost.com/world/europe/flow-of-foreign-fighters-plummets-as-isis-loses-itsedge/2016/09/09/ed3e0dda-751b-11e6-9781-49e591781754\\_story.html](https://www.washingtonpost.com/world/europe/flow-of-foreign-fighters-plummets-as-isis-loses-itsedge/2016/09/09/ed3e0dda-751b-11e6-9781-49e591781754_story.html).

٨٩- تشكل الفئات الثلاث للهجمات جزءاً من إطار السياسة العامة للاستجابة الأمريكية، فالهجمات الموجهة هي الهجمات التي تنسق الجماعات وتخطط والمشاركة مباشرة، ويحدث التخطيط والدعم داخل الجماعة. أما تمكين الهجمات فهي الهجمات التي ربما تقدم فيها الجماعات الدعم ولكن ذلك لا ينطوي اشتراك المنظمة نفسها، والتخطيط في هذه الحالة يحصل خارج الجماعة. أما الهجمات المهمة فهي الهجمات التي لا ترتبط بالجماعة، ولكن قد تتبع التوجيهات لإجراء



وما تزال داعش مصدر إلهام وتشجع لمثل هذا النشاط من خلال شبكاتهما الإعلامية مثل الأنشطة المتعلقة بـ "جنود الخلافة"، ولكن الأكثر خطورة هو تجسيد الفكرة على أرض الواقع من خلال تحشيد داعش للمهاجمين بأن "يقاتلوا في أماكنهم" لنصرة الحركة السلفية-الجهادية، إذ حتى تنظيم القاعدة الذي حاول إلهام مثل هذه الهجمات في العام ٢٠١٠، لم يحقق مثل هذا المستوى من النجاح. فقد استقطبت هذه الهجمات الرأي العام وفي بعض الأماكن عزلت، بل نفرت المجتمعات المسلمة من حكوماتها، والأثر المقصود هو تحفيز الدعم للأحزاب اليمينية المتطرفة، الأمر الذي يعزز بدوره الاستقطاب المضاد من خلال الخطاب المناهض للاجئين أو المعادي للمسلمين، وأن استمرار الهجمات المزعومة باسم الحركة السلفية-الجهادية لا يعمل إلا لزيادة هذا التوجه.

### العودة الهادئة لتنظيم القاعدة

استمرت الجهود التي بذلها تنظيم القاعدة لكسب السكان حتى مع ادعاء داعش بالاهتمام بذلك، وقد أدى تحوّل الانتفاضات الشعبية لصراعات مستمرة إلى تحسين فرص نجاح القاعدة، وأصبحت سوريا جبهة القتال الرئيسة. وفي الوقت الذي استخدمت فيه داعش الغزو والتصريحات المنمقة من أجل الحصول على الدعم الشعبي واكتساب الزخم، عمل تنظيم القاعدة بهدوء وتبني نهجاً أكثر مرونة لتأمين الدعم، وقد عمل من خلال جبهة النصرة -التي تعد في طليعة قواته في سوريا- ومن خلال أعضاء تنظيم القاعدة أو الزعماء السلفيين-الجهاديين المعروفين الذين جاءوا ليكونوا جزءاً من قيادة الجماعات السلفية-الجهادية الأخرى، مثل أحرار الشام العاملة في سوريا. وقد استفاد تنظيم القاعدة من عقود من الخبرة الحوض ما تحول إلى تجربة سلفية-جهادية ناجحة جداً.

ويتكيف تنظيم القاعدة في سوريا بنحو فعال في بيئته للحفاظ على قاعدته من الدعم الشعبي، ووجه رسالته ضمن السياق السوري، وإن إمكانية الوصول إلى الموارد من خلال الحركة السلفية-الجهادية أتاحت له تأمين التعاون مع مكونات المعارضة السورية المسلحة، فصحيح أن تنظيم القاعدة لم يتمكن من توفير قدرات كتلك الخاصة ببرنامج الصواريخ الأمريكي TWO في سوريا، إلا أنه عرض الأسلحة والإمدادات من دون تردد وتمكن من الاستجابة للتطورات على الأرض بسرعة أكبر مقارنة بأي فاعل خارجي آخر؛ لأنه كان يعمل مباشرة في ساحة المعركة، وقد دعم التنظيم الجماعات السلفية-الجهادية الأخرى في سوريا، وطالب بتفادي التعارض بشأن العمليات العسكرية إلى أدنى مستوى، في الوقت الذي ضغط فيه باستمرار لتوحيد صفوفها ضد نظام الأسد وحلفائه، وقدم الاستراتيجيون المحاربون المخضرمون من تنظيم القاعدة التوجيهات

عمليات تكتيكية محددة.



التي ساعدت على توحيد أجزاء المعارضة المتشظية في غرف العمليات العسكرية تحت تأثير تنظيم القاعدة، الأمر الذي أدى إلى مزيد من التنسيق<sup>90</sup>. وقد بدأت عملية بناء الدولة بنحو تدريجي أكثر من سابقته في اليمن ومالي، وعملت على تكييف بنى الحكم بطريقة تتسق مع السياق المحلي بدلاً من تغيير الإدارة<sup>91</sup>.

إن النفوذ السلفي-الجهادي يزداد داخل المعارضة السورية المسلحة بسبب الكيفية التي أعاد فيها تنظيم القاعدة تشكيل المعارضة بنحو فعال<sup>92</sup>. وقد إستخدمت جبهة النصرة على وجه الخصوص نهج الجزرة والعصا لتشكيل المعارضة. وهي على استعداد للعمل مع جميع الجماعات تقريباً في المعارضة، ولا سيما مع الاعتقاد بأن التهديد الوجودي للسنة يتطلب من الأمة أن تتوحد للدفاع عن نفسها، وعلى الرغم من أن جبهة النصرة تعمل مع جماعات المعارضة المسلحة، إلا أنها تعمل بشكل أوثق من أجل أن تجعل أهدافها تتماهى مع أهداف الحركة السلفية-الجهادية؛ فقد استهدفت جبهة النصرة عناصر المعارضة المسلحة، وفي آيار ٢٠١٦ قامت بنهب صواريخ TOW وغيرها من لوازم الفرقة ١٣ وهي وحدة من الجيش السوري الحر، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى إزاحة الوحدة عن البلدة التي كانت تسيطر عليها<sup>93</sup>، وإن الجماعات التي كانت تعمل مع جبهة النصرة اندمجت في نهاية المطاف معها أو ألحقت نفسها بغرف العمليات التي تهيمن عليها جبهة النصرة. وقد تبنت أحرار الشام- التي تحتفظ بصبغة سورية أكثر من جبهة النصرة- نهجاً مماثلاً.

إن دور تنظيم القاعدة- ليس كقوة طليعية سلفية جهادية، بل كقوة مقاتلين في ساحة المعركة ضد نظام الأسد- كان وما يزال مهماً للغاية بالنسبة للمعارضة السورية، وعد كثيرون في المعارضة

90 -Katherine Zimmerman, "The Khorasan Group: Syria's al Qaeda Threat," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, September 23, 2014, <https://www.criticalthreats.org/analysis/the-khorasan-group-syrias-al-qaeda-threat>.

91 -Jennifer Cafarella, "Jabhat al Nusra in Syria," Institute for the Study of War, December 2014, <http://www.understandingwar.org/report/jabhat-al-nusra-syria>.

92-لقد ساهمت الضربات الجوية الروسية بتشكيل المعارضة السورية المسلحة، فقد إستهدفت الغارات الجوية الروسية أكبر جيوب المعارضة التي لم يكن فيها اختراق للسلفية الجهادية فيها. ينظر:

Genevieve Casagrande's work on mapping Russian air strikes in Syria for the Institute for the Study of War. Genevieve Casagrande and Ellen Stockert, "Russia Lays a Trap in Syria," Institute for the Study of War, May 21, 2017, <http://iswresearch.blogspot.com/2017/05/russia-lays-trap-in-syria.html>.

93 -Thannassis Cambanis, "The Syrian Revolution Against al Qaeda," Foreign Policy, March 29, 2016, <http://foreignpolicy.com/2016/03/29/the-syrian-revolution-against-al-qaeda-jabhat-al-nusra-fsa/>.

الضربات الجوية الأمريكية التي تستهدف شخصيات تنظيم القاعدة في سوريا أمراً يضعف قضيتهم بدلاً من القضاء على الإرهابيين بين صفوفهم<sup>94</sup>. وقد سعى تنظيم القاعدة إلى الحفاظ على هذه الصورة وتجنب زج الجماعة السورية في هجمات عابرة للحدود الوطنية التي يمكن أن تفضي إلى تناقص دعمه الشعبي في سوريا، وإعادة تركيز جهود مكافحة الإرهاب على تنظيم القاعدة بعد أن تحولت صوب داعش، وقد تعامل الأخير بنجاح مع المخاوف في سوريا بشأن العمل مع جماعة إرهابية معروفة، من خلال تقليل صلاته بمنظمة القاعدة العابرة للحدود. وقد أعادت جبهة النصرة تغيير تسميتها في تموز ٢٠١٦ وأعلنت أنها قطعت علاقاتها مع تنظيم القاعدة خارجياً<sup>95</sup>، وبعد ذلك قامت الجماعة التابعة للقاعدة بمناورة من خلال سلسلة من عمليات الاندماج من أجل تعزيز هدف تنظيم القاعدة في توحيد الصفوف<sup>96</sup>.

يُعدُّ تنظيم القاعدة واحداً من أكثر جماعات المعارضة المسلحة فاعلية على الأرض، ولكن قوته الحقيقية تكمن في كيفية إعادة ترتيب نسيج المجتمع السوري، فعلى الرغم من أن التنظيم بدأ جهوده المتمثلة بالخط العسكري، لكن مع تشكيل المعارضة السورية بنحو كامل وسع تنظيم القاعدة جهوده ليشمل الخطوط الدينية والسياسية على حد سواء<sup>97</sup>. وقد نظمت جبهة النصرة وأحرار الشام وغيرها برامج الدعوة بالتساوق مع توفير السلع والخدمات الأساسية للبدء بتلقين الناس الأيديولوجية السلفية-الجهادية. يعمل تنظيم القاعدة بتزايد على ربط هياكله بعضها ببعضها

94 -See, for example, Sam Dagher and Maria Abi-Habib, "Syrians March to Protest U.S. Airstrikes Strategy," Wall Street Journal, September 26, 2015, <https://www.wsj.com/articles/syrians-march-to-protest-u-s-strategy-on-airstrikes-1411773983>.

95 -Katherine Zimmerman and Jennifer Cafarella, "Avoiding al Qaeda's Syria Trap: Jabhat al Nusra's Rebranding," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, and Institute for the Study of War, July 29, 2016, <https://www.criticalthreats.org/analysis/avoiding-al-qaedas-syria-trap-jabhat-al-nusras-rebranding>.

96 -Jennifer Cafarella, "Al Qaeda Resumes Offensive Operations in Syria," Institute for the Study of War, March 3, 2017, <http://www.understandingwar.org/backgrounder/al-qaeda-resumes-offensive-operations-syria>.

97 -Jennifer Cafarella, Harleen Gambhir, and Katherine Zimmerman, "Jabhat al Nusra and ISIS: Sources of Strength," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, and the Institute for the Study of War, February 11, 2016, <https://www.criticalthreats.org/analysis/jabhat-al-nusra-and-isis-sources-of-strength>.

الأخر ولاسيما محاكم الشريعة مع الإدارات المحلية وتشكيل مستقبل سوريا<sup>98</sup>، وقد مكنت استجابة تنظيم القاعدة للمشاعر الشعبية من ترتيب ظروف محافظة إدلب في شمال غرب سوريا، حتى أن هيكل إمارة إسلامية بدأ بالتشكل<sup>99</sup>؛ ومن هنا فإن تنظيم القاعدة يحقق أهدافه خلف الخطوط الأمامية للحرب الأهلية في البلاد.

وتعد التجربة السلفية-الجهادية في سوريا من أكثر التجارب نجاحاً حتى الآن وهي بمنزلة نموذج تحذري به الجماعات المنظرية في تنظيم القاعدة بأمكان أخرى، فقد سار على نهجه تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية في اليمن (AQAP)، إذ أعاد تجميع صفوفه بعد خسائره في عام ٢٠١٢ في جنوب اليمن، وعاد إلى شن تمرد منخفض المستوى بحلول عام ٢٠١٣، وقد غدت بعض النقاط الساخنة قوة القاعدة السلفية-الجهادية<sup>100</sup>. إذ إن انهيار عملية التحول السياسي

98 -Jennifer Cafarella, "Jabhat al Nusra in Syria," Institute for the Study of War, December 2014, <http://www.understandingwar.org/report/jabhat-al-nusra-syria>.  
99 -See Yasir Abbas, "How al Qaeda Is Winning in Syria," War on the Rocks, May 10, 2016, <https://warontherocks.com/2016/05/how-al-qaeda-is-winning-in-syria/>.

١٠٠- ومن الأمثلة على ذلك القتال حول مدرسة دار الحديث في دماج بمحافظة صعدة شمال اليمن، إذ اندلع القتال بين طلبة المركز الديني السلفي وأعضاء الشيعة الزيديين الحوثيين في تشرين الأول عام 2013. وتساعد القتال وجذب بضعة آلاف من المقاتلين السلفيين من مختلف أنحاء اليمن وانتشروا في المناطق المجاورة. وكان للنزاع جذور طائفية لكنه انتشر مع سعي القبائل لاحتواء نفوذ الحوثيين، وقد اشتراط وقف إطلاق النار عن طريق التفاوض بعودة جميع الطلبة غير المحليين إلى ديارهم؛ الأمر الذي أدى إلى تفريق الشباب السلفيين الذين كانوا يقاتلون. والمثال الثاني هو القتال على مستوى متدن الذي حدث وسط اليمن في محافظة البيضاء بين عامي 2013 و2014، وقد اشتبك تنظيم القاعدة في جزيرة العرب AQAP مع أعضاء الحوثيين الذي كانوا يتنافسون للاستحواذ على ملاذ تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في المحافظة AQAP.

On Dammaj, see "Clashes inDammaj Take a Turn for the Worst," Yemen Post, October 29, 2013, <http://yemenpost.net/Detail123456789.aspx?ID=3&SubID=7321&MainCat=3> ; Mohammed Ghobari, "Three Killed in Yemen Sectarian Clashes as Truce Fails to Take Hold," Reuters, November 3, 2013, <http://www.reuters.com/article/us-yemen-violence-idUSBRE9A205V20131103> ; and "Yemeni Gov't Evacuates Salafis from NorthernConflicts," Xinhua News, January 13, 2014, [http://news.xinhuanet.com/english/world/2014-01/13/c\\_133041541.htm](http://news.xinhuanet.com/english/world/2014-01/13/c_133041541.htm). On al Bayda, see Middle East Eye, "Houthi Rebels Seize Province, Clash with al Qaeda in Yemen's Rada'a," October 21, 2014, <http://www.middleeasteye.net/news/houthi-rebles-clash-al-qaeda-yemens-radaa-415481037>.

اليميني عام ٢٠١٤ والوصول إلى عتبة الحرب الأهلية الشاملة في العام ٢٠١٥، قد أعطى لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (AQAP) فرصة ثانية للحصول على الدعم الشعبي في اليمن، ولم يكرر الأخطاء من عام ٢٠١١، بل كان يعمل من خلال الفروع المحلية التابعة له، وقد استولى على ثالث أكبر ميناء في اليمن، الذي سيطر عليه لمدة عام واستخدم قوة الميليشيات المحلية لتوفير الأمن. ثم سهلت الجماعات التابعة لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية المفاوضات بشأن الإدارة المحلية التي يسيطر عليها السلفيون من أجل توفير الحكم<sup>١٠١</sup>. وعمل التنظيم على تثبيت أركان حكمه في الأراضي التي سيطر عليها قبل عام ٢٠١١، قبل أن تقوض عملية مكافحة الإرهاب التي يقودها بالإماراتيون المكاسب التي حققها<sup>١٠٢</sup>.

إن انزلاق الحرب الأهلية اليمنية إلى الطائفية والصراع الإقليمي هياً الظروف لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية من أجل زيادة قوته على أرض الواقع، إلا أن تنظيم القاعدة -وعلى الرغم من تخليه في شبه الجزيرة العربية عن السيطرة على جزء كبير من أراضيه بعد الهجوم الذي قادته الإمارات- ما يزال مندمجاً مع الميليشيات القبلية في وسط اليمن التي تقاتل في الحرب الأهلية، ويكتسب التنظيم الدعم الشعبي من خلال توفير الأسلحة والتدريب والقدرات للميليشيات المحلية التي تقاتل على الخطوط الأمامية ولاسيما القوات المحلية التي لا تتلقى الدعم من التحالف العربي الذي تدخل في اليمن، فالصراعات الإقليمية التي تجري في هذا البلد غيرت طبيعة القتال وأخذت الطائفية تزحف إلى الهويات اليمنية<sup>١٠٣</sup>؛ فقد دعم الإيرانيون والسعوديون جانبين متعارضين، الأمر الذي عزز الاستقطاب داخل اليمن. ولما كانت الميليشيات السلفية -التي تضم بعضها مقاتلين سلفيين- جهاديين- هي القوى الأكثر فاعلية على الأرض في نقاط التوتر الرئيسة فقد حصلت على دعم إضافي. وإن استمرار عمليات مكافحة الإرهاب الأمريكية والإماراتية ضد خطر تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية يفضي إلى رواية مماثلة لتلك التي روجها تنظيم في سوريا التي مفادها أن الولايات المتحدة تقف ضد السنة؛ إذ أدت زيادة الضربات الجوية الأمريكية لاستهداف تنظيم

101-Katherine Zimmerman, "AQAP: A Resurgent Threat," CTC Sentinel, September 11, 2015, <https://www.ctc.usma.edu/posts/aqap-a-resurgent-threat>.

102 -Katherine Zimmerman, "Al Mukalla Is Not Raqqa," AEIdeas, May 3, 2016, <http://www.aei.org/publication/al-mukalla-is-notraqqa/>; and Katherine Zimmerman, "Yemen Situation Report," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, May 2, 2016, <https://www.criticalthreats.org/briefs/yemen-situation-report/2016-yemen-crisis-situation-report-may-2>.

١٠٣- حوارات أجرتها الباحثة مع منظمات المجتمع المدني التي تعمل على برامج في اليمن.

القاعدة في شبه الجزيرة في آيار ٢٠١٧ وسط اليمن إلى تحويل الزخم إلى الجانب المقابل<sup>١٠٤</sup>. وبدأت استثمارات تنظيم القاعدة طويلة الأجل في أجزاء من أفريقيا توتي ثمارها؛ إذ أسس تنظيم القاعدة في بلاد المغرب العربي الإسلامي شبكة قوية من الأفراد السلفيين-الجهاديين في منطقة الساحل الذين سهلوا توسيع تنظيم القاعدة في المنطقة، ويقدم هؤلاء الأفراد -بصورة مشتركة- إمكانية وصول تنظيم القاعدة إلى مجتمعات جديدة وإلى شبكات التجارة والتهرب التي تجوب القارة، وتشمل هذه المجموعة القادة المحليين الذين يجلبون مجتمعاتهم لدعم أهداف القاعدة؛ فقد استخدم زعيم جماعة أنصار الدين -وهي جماعة مرتبطة بتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (AQIM) التي تنحدر أساساً من طوارق إيفوغاس- العلاقات الشخصية مع شخص مؤثر في قبيلة الفولاني<sup>١٠٥</sup>، وقد لتعزيز إنشاء مليشيا سلفية-جهادية تقاتل من أجل حقوق قبيلة الفولاني ضد دولة مالي<sup>١٠٦</sup>، وقد ساعد توسع نطاق وصول تنظيم القاعدة إلى مجتمع الفولاني على امتداد نطاق عملياتها إلى بوركينا فاسو<sup>١٠٧</sup>.

إن توطين تنظيم القاعدة في هذه المجتمعات مكّنه من نشر أيديولوجيته وشبكته، وبقيت الجماعات المحلية متفاعلة مع التحولات الحاصلة في السياق المحلي وتسعى إلى توليد تأثير أيديولوجي دائم على مجتمعاتها المحلية. وإن تنظيم القاعدة -بوصفه منظمة عابرة للحدود الوطنية- ازدادت قوته في سوريا، ومالي، واليمن، والصومال، وأفغانستان، وأماكن أخرى، من خلال استراتيجيته المعتمدة على الصبر والبراغماتية. بيد أنها لم تكن لتنجح في معظم هذه الحالات من دون الاعتماد على الشبكة المحلية للوصول إلى البنية التحتية والشبكة السلفية-الجهادية البشرية التي تركز إليها عمليات كل جماعة تابعة لها. وهذه الشبكة -القاعدة السلفية-الجهادية- هي اليوم أكثر فاعلية؛

104 -Maher Farrukh, "Targeting AQAP: U.S. Airstrikes in Yemen," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, March 7, 2017, <https://www.criticalthreats.org/analysis/targeting-aqap-u-s-airstrikes-in-yemen>.

١٠٥- الشخص يعرف أيضاً باسم بيول أو فولب.

106 -For an overview of the ethnic and tribal communities in Mali, see Mike McGovern, "Understanding Conflict Drivers and Resilience Factors in the Sahel: Desk Study," Navanti Group, June 7, 2013, <https://sahelresearch.africa.ufl.edu/files/USAID-USSOCOM-Sahel-Desk-Study-7-Jun-13.pdf>.

107 -Katherine Zimmerman and Alix Halloran, "Warning from the Sahel: Al Qaeda's Resurgent Threat," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, September 1, 2016, <https://www.criticalthreats.org/analysis/warning-from-the-sahel-al-qaedas-resurgentthreat>.

لأنها ركزت على تقوية صلاتها بالجماهير السنية والأمة وتوحيدها تحت لواء الحركة السلفية-الجهادية. وتنظيم القاعدة في طريقه إلى تأسيس وجود دائم في المجتمعات السنية، الأمر الذي يمكنه من مواصلة غرس الأيديولوجية السلفية-الجهادية في نسيج هذه المجتمعات.

إن الغرب -ولاسيما الولايات المتحدة- وقعوا في فخ قيادة تنظيم القاعدة؛ إذ قامت قيادة التنظيم، الحساسة للجدل الذي يلف سياسة الولايات المتحدة بتقييم أنشطة التنظيم لتبقى أقل من المستوى الذي يجبر القرار السياسي في الولايات المتحدة على اتخاذ إجراء ضده. وترجم صناع القرار في الولايات المتحدة عدم وجود هجوم عابر للحدود الوطنية كدليل على ضعف تنظيم القاعدة. وفي الوقت نفسه أبقى تنظيم القاعدة عمداً اسمه بعيداً عن العناوين الرئيسية، التي تعقبت بدلاً من منه الخط الذي اختطه داعش في الوحشية والمآسي المروعة. وعزز تركيز الجماعات المنطوية للقاعدة على الجانب المحلي على مواصلة تضليل الاستنتاجات الأمريكية بأن تنظيم القاعدة لم يعد يشكل تهديداً، وعلى الرغم من ذلك لم يتخل تنظيم القاعدة عن سعيه للقدرات الهجومية بل واستمر في بناء تلك القدرات<sup>١١٨</sup>، وسعى إلى تمكين الهجمات في الغرب وإلهامها، ولم يكن مجرد توجيهها أو تنسيقها، وكان التركيز المحلي لتنظيم لقاعدة متعمداً، كما كان الأمر بشأن غياب هجمات ممنهجة عابرة للحدود الوطنية.

إن تعاضم قوة تنظيم القاعدة هو أمر أكثر خطورة من نجاح داعش، إذ إن النهج الأكثر نعومة لداعش لبناء الدعم الشعبي على مستوى القواعد الشعبية لم يعمل إلا على إثارة القليل من رد الفعل من الغرب إن وجد، فقد فهم الغرب تركيز تنظيم القاعدة المحلي على أنه قضية محلية. أما تنظيم القاعدة فقد نجح باحتواء ردود أفعال المجتمعات التي زج بنفسه داخلها، من خلال ترك المقاومة المحلية تتفجر، فيما يعمل على تكييف التوقيت الملائم للتحرك لتفادي حصول ردود فعل عنيفة.

وعلى النقيض من ذلك فقد أدى غزو داعش إلى تحشيد الجهد العسكري الغربي ضد الجماعة، وتلقت رد فعل قاسياً من المجتمعات التي احتلتها على مر الزمن، وإنهار الدعم الشعبي القسري لداعش في العالم الإسلامي، وتمكن تنظيم القاعدة من إستيعاب بقايا تنظيم داعش والاستفادة من تحشيد داعش العالمي والحفاظ على زخمه داخل المجتمعات السنية لتعزيز الحركة السلفية-الجهادية.

## قيادة الحركة السلفية-الجهادية

إن المنافسة المستمرة بين تنظيم القاعدة وداعش لقيادة الحركة السلفية-الجهادية هي معركة أيديولوجية في المقام الأول، إذ يخوض كل من تنظيم القاعدة وتنظيم داعش حرباً ضد بعضهما الآخر، ويتهم كل منهما الآخر بتضليل الأتباع، والدعوة إلى التفسير القائم على البدع للإسلام.

ويسعى كل من تنظيم القاعدة وداعش ليكونا في طليعة الحركة السلفية-الجهادية، وقد احتل تنظيم القاعدة هذا الموقع من دون منافس منذ أن أسس في العام ١٩٨٩ حتى ظهور داعش على الساحة العالمية في حزيران ٢٠١٤. إن هيمنة تنظيم القاعدة تنبع من رؤية أسامة بن لادن لاستخدام منظمته لتوحيد الجهاد العالمي، وشن الهجمات التي تحدث خسائر هائلة في الأرواح ضد الولايات المتحدة وأوروبا. وقد اكتسب التنظيم شهرة من خلال هذه الهجمات، ومن خلال قدرته على تزويد الجماعات المحلية بالموارد الضخمة. وقد قدم نشطاء تنظيم القاعدة النصح والمساعدة بالموارد لجهود الجماعات الإسلامية المحلية في تسعينيات القرن الماضي وأوائل العقد الأول من القرن الحالي، وقد أدت خلايا تنظيم القاعدة الهجومية دور المكمل لجهود الجماعات المحلية من خلال التركيز على العدو الخارجي وهو الغرب، وقد ساهم اعتراف بن لادن في وقت لاحق بجماعات تنظيم القاعدة الإقليمية-المنضوية له- بتوسيع اسم تنظيم القاعدة، وهذه الجماعات التي من بينها خلفه داعش، وقامت بمحاكاة جهود الجماعة الأصلية في أفغانستان وباكستان<sup>١١٠</sup>، وقد نافسه زعيم داعش أبو بكر البغدادي على هذا الموقع حينما أعلن خلافته وأثبت نجاحه على الأرض<sup>١١١</sup>.

إن الأيديولوجية السلفية-الجهادية هي مبدأ استراتيجي لتنظيم القاعدة وداعش على حد سواء، وإن من شأن وجود مثل هذا المبدأ الاستراتيجي خلق القدرة على التكيف مع التغيرات القيادية في الجماعات والعمل على استمرارية جهودها مع مرور الوقت. وإن الباعث وراء تجدد ظهور هذا المبدأ في الفكر السلفي-الجهادي هو خط المجاهدين الذي يمتد من زمن النبي محمد (ص) إلى اليوم الآخر؛ فقد يقتل فرد ما ولكن المجاهد الآخر سيظهر في مكانه من أجل الاستمرار

109 -For more on the al Qaeda and ISIS competition, see Katherine Zimmerman, "Competing Jihad: The Islamic State and al Qaeda," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, September 1, 2014, <https://www.criticalthreats.org/analysis/competingjihad-the-islamic-state-and-al-qaeda>.

110 -For more on how the al Qaeda network operates, see Zimmerman, "The al Qaeda Network."

111 -Charles Caris, "The Islamic State Announces Caliphate," Institute for the Study of War, June 30, 2014, <http://iswresearch.blogspot.com/2014/06/the-islamic-state-announces-caliphate.html>.



في القتال<sup>١١٢</sup>. وتؤمن العقيدة السلفية-الجهادية بأن انتشار الإسلام بالأساس هو رمز لكيفية المضي قدماً اليوم لتوليد استراتيجية مرحلية تتبناها الحركة، وتتحكم الظروف بمستقبل الحركة من خلال هذه المراحل الاستراتيجية. ويعتقد تنظيم القاعدة أن ظروف الحركة اليوم هي مثل النحو الذي كانت عليه المدينة، كما تم تعريفها سابقاً<sup>١١٣</sup>. فيما تعتقد داعش أن الظروف هي أكثر تقدماً من ذلك، فإعلانها الخلافة يمثل المرحلة الأخيرة قبل يوم الحساب (القيامة) القادم<sup>١١٤</sup>.

إن كلاً من تنظيم القاعدة وداعش هما من مظاهر التمرد السلفي، فالإرهاب هو سلاح واحد ضمن ترسانتهم، لكن ببساطة أياً من الجماعتين لا يعرف أهدافه على أنها مجرد قتل الأمريكيين أو الغربيين الآخرين، بل بدلاً من ذلك يجمع تنظيم القاعدة داعش بين تكتيكات حرب العصابات والقدرات العسكرية التقليدية المنخفضة والحمالات التي تركز على السكان لمناهضة الدولة أو غيرها من جماعات المعارضة المسلحة ولتوسيع قواعد دعمها، وهي تشن الحملات بالاشتراك مع غيرها من الجماعات سعياً لتحقيق أهداف الحركة السلفية-الجهادية، إذ يعمل تنظيم القاعدة مع الجماعات المحلية<sup>١١٥</sup>، من أجل توحيد جهودها، بينما تسعى داعش من أجل ضم هذه الجماعات إلى تنظيمه،

١١٢- وقال أبو زبيدة الناشط في تنظيم القاعدة والموجود حالياً في خليج غوانتانامو لأحد محققيه: إنه مجاهد واحد في سلسلة طويلة من المجاهدين.

See the public event: American Enterprise Institute, "Inside the Islamist Terrorist's Mind: A Conversation with Former CIA Interrogator James Mitchell," December 6, 2016 <https://www.aei.org/events/inside-the-islamist-terroristsmind-a-conversation-with-former-cia-interrogator-james-mitchell/>.

كما نقل بيان للقاعدة صدر بعد وفاة أسامة بن لادن هذه الفكرة، وكتبت القيادة العامة لتنظيم القاعدة أن ابن لادن توفي "على طريق محمد سلكه خيار سابقها ولاحقها.

" Steven Nelson, "Al Qaeda Vows Revenge for Osama binLaden's Death," Daily Caller, May 6, 2011, <http://dailycaller.com/2011/05/06/al-qaeda-vows-revenge-for-osama-bin-ladens-death/>.

١١٣- ماري هاييك، في كتابها الذي سيصدر قريباً بشأن استراتيجية تنظيم القاعدة، تفصل أكثر الاستراتيجية المرحلية إلى ست مراحل وهي : مكة، والهجرة، والمدينة، ومعركة بدر، وصلاح الحديبية، وفتح مكة، والمرحلة الأكثر تقدماً هي في سوريا، حيث هي الآن في مرحلة بدر (المحاکم الشرعية العلنية وبناء الجيش وإدارة الأراضي).

١١٤- وفقاً لتقسيم هاييك، فإن داعش في مرحلة فتح مكة، حيث تناقش قيادتها علناً قدوم يوم القيامة. See Graeme Wood, "What ISIS Really Wants," Atlantic, March 2015, <http://www.theatlantic.com/magazine/archive/2015/03/what-isis-really-wants/384980>.

١١٥- إن القاعدة هي المرتع الأكثر خصوبة ضمن الحركة السلفية-الجهادية لكنها تعمل مع الجماعات الإسلامية السياسية وحتى العلمانية في سبيل تحقيق أهدافها.

وكلاهما يسعيان إلى تخفير التمرد الذي يطيح بنظام الدولة الدولي وينشئ الخلافة الإسلامية عبر الأراضي الإسلامية أولاً ومن ثم إلى العالم في نهاية المطاف.

وتفصح الاختلافات الأيديولوجية الثانوية - التي تم تنقيحها من خلال دراسة التجارب السابقة - تفصح عن اختلافات واضحة في كيفية تنفيذ تنظيم القاعدة وداعش لإستراتيجيتهما<sup>١١٦</sup>. وإن النقطة المحورية التي ينبغي الإشارة إليها هي صحوة الأنبار في العراق في العام ٢٠٠٦<sup>١١٧</sup> إذ أخذ تنظيم القاعدة هزيمة فرعه في الأنبار كدليل على أنه يجب أن يعمل على تحشيد الدعم الشعبي، فيما رأت الجماعة - التي أصبحت فيما بعد داعش بدلاً من ذلك - أنها لم تكن دوغمائية (عقائدية) بما فيه الكفاية في سلوكها.

وهذا التباين في التفسير واضح في التطبيق، إذ يختلف كلا من تنظيم القاعدة وداعش بشأن ما إذا كانت المشاركة في الأنظمة الديمقراطية الحالية لإحداث التغيير هي خطيئة أم لا، ففي الوقت الذي أسس فيه تنظيم القاعدة الأحزاب السياسية السلفية من أجل تعزيز الدعوة ومن أجل أن تكون بؤرة لتجميع المجاهدين ل يتم تجنيدهم لمنظمتهم النخبوية<sup>١١٨</sup>، ترفض داعش أي مشاركة سياسية بوصفها دعماً للحكومة المرتدة. والأمر الآخر هو أن تنظيم داعش يختلف كل منهما حول ما إذا كان شن الجهاد العنيف ضرورياً للدعوة؛ ومن ثم فإن تنظيم القاعدة يعتمد أساساً على الشخصيات والمنظمات الدينية لنشر رسالته في أوساط السكان، فيما يستخدم داعش الغزو العسكري، وأخيراً يقدم كل منهما إجابة مختلفة على مسألة من مسلم؛ وبالتالي تحديد من هو دمه مباح؛ وفي هذا السياق يرى تنظيم القاعدة أن الشيعة في معظم الحالات يمكن إعفاؤهم من الأخطاء الدينية، وأن المسلمين السنة يجب عليهم أن يعلموا الإسلام الحقيقي - كتعليم الأطفال مثلاً - قبل أن يتم الحكم

116-For background, see Mary Habeck, Knowing the Enemy; and Mary Habeck, "Assessing the ISIS—al-Qaeda Split," Insite Blog on Terrorism and Extremism, June 18, 2014, <http://news.siteintelgroup.com/blog/index.php/about-us/21-jihad/4388-assessing-the-isis-al-qaeda-splitintroduction>.

١١٧ - استنتاجات من مناقشات منذ عام 2014 مع فريدريك كاغان وجيسكا لويس وماكفيت.  
١١٨ - شجع كبار قادة تنظيم القاعدة على إنشاء أحزاب سياسية سلفية من أجل تشكيل البيئة السياسية والحكم وتكون بمنزلة آلية لتدقيق المجددين الجدد. ويرتبط اتحاد الرشد في اليمن بتنظيم القاعدة في جزيرة العرب AQAP. عبد الوهاب محمد عبد الرحمن الحميقاني، أمينها العام وقد صنفته الولايات المتحدة كعضو في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب AQAP.

US Department of the Treasury, "Treasury Designates Al-Qa'ida Supporters in Qatar and Yemen," press release, December 18, 2013, <https://www.treasury.gov/press-center/press-releases/Pages/j12249.aspx>.

على أفعالهم<sup>١١٩</sup>. وقد وجهت قيادة تنظيم القاعدة القادة المحليين بفرض الشريعة تدريجياً، كما حدث في ظل النبي محمد، فيما ترى داعش إن أي شخص لا يؤمن بالتفسير الصارم للإسلام ويتبعه فهو كافر ويمكن -بل يجب في بعض الحالات- أن يقتل.

إن مسألة استراتيجية أي من الجماعتين هي الصحيحة ما تزال من دون إجابة اليوم، وقد يبدو الجدل غير نافع بذلك الأمر، إلا أن كلاً من القاعدة وداعش يسعيان إلى قيادة الحركة العالمية، وقد شكك تنظيم القاعدة باعلان داعش للخلافة وواجهها بانتقادات لاذعة مطولة جزاء عدم تشاورها مع الآخرين لإيجاد توافق في الآراء<sup>١٢٠</sup>، وهاجم التنظيم أيضاً شهادة داعش لأن فكرة الإجماع داخل الأمة هي فكرة قوية في الإسلام<sup>١٢١</sup>، أما داعش بدورها فقد كرست طاقتها لدحض الاتهامات<sup>١٢٢</sup>. والأمثلة من هذا القبيل كثيرة، ويحتج كلٌّ منهما أمام أعضاء الحركة السلفية-الجهادية بأن عقيدته الدينية هي الدين الصحيح الذي أنزله الله على النبي محمد.

بالنسبة للسنة فإن النجاح على الأرض يدل على تفضيل الله لأولئك الذين على الطريق الصحيح، ويرون أن عقيدتهم الدينية هي الدين الحقيقي، إن تركيز تنظيم القاعدة على الدعم الشعبي وضع الأساس لقاعدة لها قوة في الربيع العربي. إذ تعافت الجماعة من الانتكاسة الأولى

١١٩- القياس بالأطفال يتكرر في بيانات قيادة القاعدة، وتحدد الحركة أيضاً أن الوحي البطيء للقرآن للنبي محمد هو سبب للتحرك ببطء نحو تنفيذ الشريعة الإسلامية، ويرى تنظيم القاعدة انه يجوز قتل بعض الجماعات داخل السنة.

120 - SITE Intelligence Group, "AQIM Argues IS 'Caliphate' Lacks Shariah Requirements for Establishment," December 30, 2014. See also SITE Intelligence Group, "AQIM Rejects IS' Declared Caliphate, Calls Jihadi Leaders to Rectify Issues," July 14, 2014.

١٢١- إن مفهوم الإجماع هو مفهوم مهم في الإسلام والفقهاء المعروف باسم الفقه، وإن التأكيد على الإجماع يأتي من خلال الحديث الذي قال فيه النبي محمد «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

The Oxford Dictionary of Islam, s.v. "Ijma," <http://www.oxfordislamicstudies.com/article/opr/t125/e989>.

١٢٢- ينظر على سبيل المثال، المتحدث باسم داعش أبي محمد العدناني الذي أفصح وبوضوح أن الخلافة هنا وستبقى في خطبة في يوم 12 آذار عام 2015 وخطاب زعيم داعش أبي بكر البغدادي في 14 أيار عام 2015.

SITE Intelligence Group, "IS Spokesman Threatens Enemy to Convert or Be Subjugated, Accepts Boko Haram's Pledge of Allegiance," March 12, 2015; and SITE Intelligence Group, "IS Leader Abu Bakr al-Baghdadi Addresses Muslims in New Speech," May 14, 2015.

للاحتفالات الشعبية والعلمانية في العالم العربي من خلال مشاركتها الكثير من تلك الحركات وتوسيع قاعدتها الشعبية، ومنذ ذلك الحين ثبت أن خسائر تنظيم القاعدة كانت مؤقتة، أن الجماعات المنتمية إليها في سوريا واليمن والصومال ومالي قد ازدادت قوة. وفيما يخص داعش فإن انسحاب الولايات المتحدة من العراق بحلول عام ٢٠١١ مهد الطريق لعودة التمرد<sup>١٢٣</sup>. فقد استغلت البيئة الطائفية المتزايدة في عهد رئيس الوزراء نوري المالكي، وكان إعلانها الخلافة قبل تنظيم القاعدة بكثير. إن الحركة السلفية-الجهادية ستفسر الهزيمة أو الضعف الذي ينتاب أياً من تنظيم القاعدة أو داعش بمنزلة التفويض الإلهي لدعم الآخر ودعمه في ظل كونه قوة الطليعة.

ولم تضعف المنظمات العالميتان اللتان تنافستا على القيادة الحركة السلفية-الجهادية، ولم يكن لتحويل الموارد والولاءات بين الجماعات والمنظمات أي تأثير جوهري، فقد تحالفت الجماعات السلفية-الجهادية مع تنظيم القاعدة قبل عام ٢٠١٤ في محاولة للوصول لموارد تنظيم القاعدة أو للاستفادة من اسم التنظيم، فمثل هذا الانتماء لا يعني بالضرورة أن الجماعات كانت جزءاً من تنظيم القاعدة نفسه على الرغم من أنها غالباً ما أصبحت جزءاً من شبكة تنظيم القاعدة الأوسع. وكان نجاح تنظيم القاعدة عامل جذب داخل الحركة العالمية، فيما أدى صعود داعش إلى إدخال قطب ثانٍ تنجذب صوبه الجماعات. إذ إن إعادة التحالف السريع للجماعات مع داعش لم يضعف تنظيم القاعدة تنظيمياً، ولم ينشق أي التنظيمات التابعة للقاعدة ولم ينضم أي تنظيم ذو صلة وثيقة بتنظيم القاعدة لداعش<sup>١٢٤</sup>، بل بدلاً من ذلك كان التزام الجماعات الجديدة بداعش

123 - Jessica Lewis McFate, "Al-Qaeda in Iraq Resurgent," Institute for the Study of War, September 10, 2013, <http://www.understandingwar.org/report/al-qaeda-iraq-resurgent>.

١٢٤- هناك استثناء محتمل وهو الحركة الإسلامية لأوزبكستان (IMU)، التي انفصلت في منتصف عام 2015 مع فصيل مهم أعلن دعمه لداعش. وإن فصيل الحركة الإسلامية لأوزبكستان (IMU) المنضوي لداعش انظم إلى ولاية خراسان التابعة لداعش في أفغانستان، وخسر أمام طالبان في مقاطعة زابول، فهذا الفصيل يتنافس مع طالبان على السيطرة على مقاطعة جوزجان. وفي غضون عام واحد على إعلان دعمها لداعش أعلن الفصيل الجديد ولائه لتنظيم القاعدة.

For more, see Caitlin Forrest and Richard DeKold, "Warning Update: The Expansion of ISIS in Northwestern Afghanistan," Institute for the Study of War, February 22, 2017, <http://iswresearch.blogspot.com/2017/02/warning-update-expansion-of-isis-in.html> ; and Bill Roggio and Caleb Weiss, "Islamic Movement of Uzbekistan Faction Emerges After Group's Collapse," Long War Journal, June 14, 2016, <http://www.longwarjournal.org/archives/2016/06/islamic-movement-of-uzbekistan-faction-emerges-after-groups-collapse.php>. For more on group proximity to al Qaeda, see Zimmerman, "The al Qaeda Network."

كبيراً لأنها كانت ترنو صوب الوصول لخزائن داعش ومن أجل الاستفادة من زخم وسائل الإعلام المحيطة بها، ومع مرور الوقت قامت داعش بتأسيس فروع ضمن القاعدة السلفية-الجهادية التي أسست لحضور التنظيم في العالم الإسلامي وقامت بتطوير شبكة موازية لتلك التي بناها تنظيم القاعدة<sup>١٢٥</sup>؛ والنتيجة النهائية كانت إيجابية للحركة السلفية-الجهادية.

وقد أدت المقاربات المختلفة لتنظيم القاعدة وداعش إلى تحصين القدرة على التكيف مع الحركة السلفية-الجهادية، إذ إن كلاً من تنظيم القاعدة وداعش يستمران في توسيع شبكتهما في العالم الإسلامي، وقد استقطبا مجندين جددًا، وأخذ القتال من أجل سوريا بريقاً أكثر من العراق في العقد الأول من القرن الحادي، وأفغانستان في عقد الثمانينيات من القرن الماضي. فسوريا هي بوتقة الانصهار الجديدة للمجاهدين. وهي الحرب التي دارت على أراضي إسلامية مع عدم وجود أي قوات أجنبية على الأرض، بمعدلات تأريخية تجاوزت بذلك أعداد المقاتلين الذين استجابوا لوجود القوات الأمريكية في الصراعات السابقة، وكان هناك تجنيد للمقاتلين لم يسبق له مثيل من الغرب، ويستمر تنظيم القاعدة في نشر المواد الدعائية التي تهدف إلى إلهام ما يسميه «المصدر المفتوح للجهاد»<sup>١٢٦</sup>، وكذلك من أجل استقطاب المجندين للقتال في سوريا. وإن استمرار تدفق المقاتلين للانضمام إلى تنظيم القاعدة في سوريا يفصح عن أن القاعدة تحتفظ بشبكة تجنيد واسعة في الغرب، وعمل داعش على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي كأداة لاستقطاب المقاتلين، وبوصفها وسيلة لتوجيه الشبكة المنتشرة من الأفراد الذين سيكونون «جنود الخلافة»<sup>١٢٧</sup>؛ وواصلت التكيف في عالم الإنترنت لبناء خلافة افتراضية، وقد ادعت داعش -أو قامت بالفعل أيضاً- بعدد

١٢٥- قدرة داعش على شن حملات عالمية دليل على إنتشار شبكته.

See Jennifer Cafarella and Melissa Pavlik, "ISIS's Global Campaign Remains Intact," Institute for the Study of War, June 14, 2017, <http://iswresearch.blogspot.com/2017/06/isiss-globalcampaign-remains-intact.html>.

١٢٦- تصمنت مجلة تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية AQAP التي تصدر باللغة الإنجليزية في تموز ٢٠١٠ قسماً مخصصاً لـ "الجهاد المفتوح" وضمن التنظيم في هذا القسم دليلاً من صنع القنابل الأساسية إلى استخدام الأشياء اليومية مثل الشاحنات الكبيرة كأسلحة.

See Katherine Zimmerman, "Expanding the Campaign of Violence: Al Qaeda in the Arabian Peninsula's English-Language Magazine," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, July 13, 2010, <https://www.criticalthreats.org/analysis/expanding-the-campaign-of-violence-al-qaeda-in-the-arabian-peninsula-english-language-magazine>.

١٢٧- وصف داعش الأفراد الذين يشنون هجمات باسم الدولة الإسلامية بـ «جنود الخلافة» لتمييز الهجمات عن تلك التي تدعيها فروع داعش.

غير مسبوق من الهجمات من خلال الأفراد الذين اختاروا القتال في مكانهم بدلاً من السفر للجهاد<sup>١٢٨</sup>، استهدفت حملات داعش التصدعات في المجتمع -التصدعات الطائفية في العراق وسوريا وسياسات السلطة في ليبيا-؛ الأمر الذي ساعدها على إستقطاب السكان، وقد ساعد مثل هذا الإستقطاب الحركة السلفية-الجهادية من خلال رسم خطوط حول العدو. تلقى تنظيم القاعدة مقاومة أقل لعملياته المحلية واستمر في التوسع، فالتركيز على قوة الجماعات الفردية وليس على الحركة قد عمل على تضليل رسم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية مراراً وتكراراً.

إن صعود داعش وأفوله في المجتمعات المحلية -التي يسرتها جزئياً سياسات مكافحة الإرهاب الأمريكية- قد يعمل على تقوية تنظيم القاعدة، إذ تسوعب داعش بنى الحكم المحلية الضعيفة أو المدمرة بالقوة ويقوم الدخول بسرعة في مكونات الدولة؛ لذلك نادراً ما يعترف السكان المحليون بشرعية حكومة داعش وسلطاتها، وان الرفض الشعبي لداعش يفصح عن أنها غريبة أساساً عن المجتمع. فيما يعمل تنظيم القاعدة على إدامة روابطه المحلية في المجتمع -كاستعداده لتنسيق مجالس الشورى التمثيلية المحلية وإشراكها بنى الحكم القائمة-؛ الأمر الذي يربطه بشكل وثيق في المجتمع. وفي بعض الحالات - كما هو الحال في درنة في ليبيا- ساعد تنظيم القاعدة الجماعات المرتبطة به على طرد داعش وتم الترحيب به كقوة أكثر «اعتدالاً»<sup>١٢٩</sup>؛ فقبول تنظيم القاعدة من قبل السكان المحليين كبديل لداعش وكشريك محلي هو فوز كبير للحركة السلفية-الجهادية طالما انتقلت من العزلة إلى المجتمعات.

١٢٨- من الصعب تقييم العدد الحقيقي للهجمات التي ألهمها داعش، إذ يدعي العديد من الأفراد هجماتهم باسم داعش وأحياناً تنسب الأجهزة الأمنية الهجوم لداعش من دون دليل واضح، وقد ينتمي الأفراد إلى داعش كوسيلة للاستفادة من شبكة داعش العالمية التي تحتفل على الفور وتعترف بالعملية، وهناك بعض الأفراد لم توجههم القاعدة ولم تساعدهم إلا أنهم ادعوا الهجمات باسم تنظيم القاعدة لجذب إنتباه وسائل الإعلام، غير أن التمييز بين الفرد الذي أصبح متطرفاً على يد تنظيم القاعدة أو تنظيم داعش هو أمر مفيد لفهم التأثير الكلي لكل منظمة، ولكن لا يشكل أهمية حين النظر إلى قوة الحركة السلفية-الجهادية.

١٢٩- يمكن رؤية هذه الظاهرة في أماكن مثل درنة في ليبيا، حيث يكون حضور تنظيم القاعدة أكثر قبولاً لدى السكان بالمقارنة مع وجود داعش؛ بسبب تصرفات الأخير الأكثر تطرفاً.

ومن المرجح أن يظهر تنظيم القاعدة كقوة طليعة للحركة السلفية-الجهادية مرة أخرى، وفي الوقت الذي تستند فيه تقديرات ضعف تنظيم القاعدة إلى قوتها العسكرية التي تفصح عنها في الميدان<sup>130</sup>، سيشكل داعش جيشاً إرهابياً وتفصح هيمنته الوحشية على السكان عن قوة غاشمة، وبمقياس القوة، فإن قوة داعش أقوى حتى بعد العمليات العسكرية ضدها، وبمقياس الدعم الشعبي فإن الكفة تميل لصالح تنظيم القاعدة، وهذا الدعم الشعبي هو ما سعى إليه قادة تنظيم القاعدة -ولاسيما أيمن الظواهري- ودأبوا للحصول عليه. وقد فعلوا ذلك بطريقة سيكون من الصعب بعدها فصرم عرى الروابط التي تربطهم بالسكان، إذ اندمج تنظيم القاعدة، في اليمن ومالي وأماكن أخرى، مع السكان وحاز على الولاءات العائلية؛ الأمر الذي يعقد مسألة فصرم عرى الروابط بين تنظيم القاعدة و المجتمع، وقد تبني التنظيم نهجاً أكثر نعومة حيال السكان الذين تم إخضاعهم بالإكراه في السابق وعمل على تحوير رسائله وأفعاله بالاعتماد على السياق المحلي. إن تداخل تنظيم القاعدة مع السكان السنة واللبنات المجتمعية -من بني الحكم المحلي إلى الأسرة- يجعله أكثر استمرارية من النهج الذي تتبناه داعش من الأعلى إلى الأسفل.

### الظروف الحالية التي تجلب الدعم غير الأيديولوجي للقاعدة السلفية-الجهادية

يعود صعود الحركة السلفية-الجهادية وإحرازها التقدم لعوامل خارجة عن إرادتها، إذ تسبب الاستياء الشعبي من سوء الحكم في العالم الإسلامي بانتفاضات ضد الدول التي بدأت تضر بالنظام الاجتماعي وتدمره، ومع تصاعد وتيرة الصراع وانتشاره، رزح السنة تحت وطأة تهديدات حقيقة ومتصورة لسبل عيشهم وحياتهم؛ لذا فقد أصبحت هناك شريحة واسعة للسنة مستعدة لقبول وجود أعضاء القاعدة السلفية-الجهادية والتنسيق معها في محاولة للبقاء. إن الظروف الحالية هي التي جلبت الدعم الشعبي للقاعدة السلفية-الجهادية وليست الإتفاقيات الأيديولوجية أو قبول التكتيكات الإرهابية، فتعزيز تلك القاعدة من خلال هذه العلاقة مع السكان هو السبب الكامن وراء كون الحركة السلفية-الجهادية -بما في ذلك تنظيم القاعدة وداعش- تبدو جلياً أقوى اليوم.

إن الأحداث العالمية والاتجاهات التي صاغت الظروف جعلت السكان السنة يخضعون للتحشيد في ظل التهديد عبر دول متعددة؛ إذ إن مستوى التغيير والصراع لم يسبق له مثيل، وإن الدول الإقليمية والأنظمة الشعبية قد احتوت الصراعات المحلية وخففت من آثارها؛ الأمر الذي حيد تأثيرها وعملت على حفظ النظام المحلي، إلا أن شبكة الأمان هذه فشلت، فقد اجتاحت

130 - See, for example, Aaron Y. Zelin, "The War Between ISIS and al-Qaeda for Supremacy of the Global Jihadist Movement," Washington Institute for Near East Policy, June 2014, [http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/pubs/ResearchNote\\_20\\_Zelin.pdf](http://www.washingtoninstitute.org/uploads/Documents/pubs/ResearchNote_20_Zelin.pdf).



الحرب الطائفية الشرق الأوسط، وباتتشارها قد تسببت في نزاعات مثل الصراع بين السعودية وإيران، والصراعات العرقية مثل الصراع بين تركيا والأكراد؛ فالاستياء الشعبي الواسع النطاق، وخيبة الأمل بالحكومات الوطنية والعمليات السياسية تسبب في انهيار دول ووضع دول أخرى على شفير الخطر الحقيقي للانهايار؛ الأمر الذي ترك العديد من السكان عرضة للخطر.

إن الحركة السلفية-الجهادية تستفيد من الصراعات الجارية في العالم ذي الأغلبية المسلمة، التي تدفع إلى التوسع غير المسبوق في تسامح المجتمعات السننية مع القاعدة السلفية-الجهادية، ويسعى الفاعلون على مستوى الدولة والعايون للحدود الوطنية وعلى المستوى ما دون الدولة لصياغة شكل الحكم وديناميات السلطة في المنطقة، وتؤثر الاتجاهات العالمية أيضاً على المنطقة، من قبيل الاعتداء على النظام الدولي، انتهاكات القواعد الدولية، وتآكل الدولة وانهارها، وظهور فراغ السلطة. ويخلق التضافر بين هذه الاتجاهات فرصاً للتغيير، اغتتمها جميع الفاعلين؛ ومع ذلك فإن محاولاتهم لإعادة تشكيل المنطقة يولد آثاراً غير مقصودة (جانبية)، وزيادة الفوضى في النظام؛ الأمر الذي يزيد من تقويض المجتمعات السننية، فالسكان السننة الذين يعيشون في خوف من القهر أو المجاعة أو الإبادة، هم الآن على استعداد لقبول دعم الجماعات السلفية-الجهادية، بشكل ضمني أو صريح، لمنحهم الفرصة للبقاء على قيد الحياة.

### توسع القاعدة السلفية-الجهادية

إن القاعدة السلفية-الجهادية تنمو باضطراد وقد ازداد عدد الجماعات السلفية-الجهادية منذ العام ٢٠١٣ على الأقل<sup>١٣١</sup>؛ ويعزى هذا النمو جزئياً إلى التحشيد الضخم للمقاتلين الأجانب -ولاسيما من الغرب- للقتال في العراق وسوريا، ومع ذلك فإنه قد يحدث ذلك أيضاً على المستوى المحلي حيث الدوافع الأيديولوجية تكون أقوى بذلك بكثير، إلا أنه من المرجح أن يستجيب المقاتلون المحليون إلى التغيرات في البيئة المحيطة أكثر مقارنة بالاستجابة للصدى الأيديولوجي المفاجئ للسلفية-الجهادية. إذ أن توسيع القاعدة السلفية-الجهادية عزز قوة كل من تنظيم القاعدة وداعش، ولكن القاعدة نفسها لم توفر قدرات جديدة لأي من الجماعتين ونموها وحده لا يفسر زخمهما الجديد.

131 - Seth G. Jones, "A Persistent Threat: The Evolution of al Qaeda and Other Salafi Jihadists," Rand Corporation, 2014, 27, [http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research\\_reports/RR600/RR637/RAND\\_RR637.pdf](http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_reports/RR600/RR637/RAND_RR637.pdf).

لم يحدث أي تحوّل جوهري في الأيديولوجية السلفية-الجهادية ليجعلها أكثر جاذبية للقاعدة الشعبية الأوسع، صحيح أن السلفيين-الجهاديين قد قاموا بتنقيح الأيديولوجية على مر الزمن، ولكن الدعوة إلى الجهاد العنيف ما تزال هي نفسها، وما تزال القاعدة السلفية-الجهادية تمثل أقلية صغيرة من المسلمين السنة، وما تزال أيديولوجيتها هامشية بالنسبة للتفسيرات الأكثر بروزاً وانتشاراً في الإسلام السني، إذ إن الأيديولوجية نفسها ليست جديدة وعادة لا تكون المحرك الرئيس لعضوية الجماعات المحلية<sup>١٣٢</sup>.

وقد قام تنظيم القاعدة وداعش بتنقيح دعايتهما من أجل إختراق المجتمعات الغربية وغير العربية على وجه الخصوص، وتعمل التكنولوجيا على تيسير نقل رسالتهما إلى الجمهور الأوسع كما فعلت الحركة حينما ابتعدت عن الخطاب باللغة العربية، وبثت رسالتها باللغات العامية لجعل الحجج الدينية أكثر سهولة بالنسبة للمجندين المحتملين، وقد بدأ تنظيم القاعدة هذه التكتيكات عام ٢٠١٠ ولكنه لم يكن قادراً على تجنيد الجماهير كمقاتلين أجنبي أو كمقاتلين محليين يشنون هجمات في أوطانهم<sup>١٣٣</sup>. من جانب آخر قامت داعش باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، واستغلال وسائل التوزيع الجماهيرية السهلة المتاحة، وأدوات التشفير لخلق مجتمع عالمي؛ ومن المؤكد أن هذا النهج أدى إلى زيادة التجنيد. ولكن حتى الرسائل التسويقية الجماهيرية التي بثها داعش لم تغير الأيديولوجية، إذ لم تخترق استراتيجية داعش لوسائل التواصل الاجتماعي المجتمعات الفقيرة في الإنترنت، حيث توسعت القاعدة السلفية-الجهادية أكثر من غيرها؛ ومن هنا فالإنترنت ليس السبب في نمو الحركة، والنتيجة أن صدى الدعوة السلفية-الجهادية جاء بفعل الظروف العالمية والتهديد الذي تعرضت له المجتمعات السنية.

وقد انضم المقاتلون إلى الجماعات السلفية-الجهادية من أجل الأسباب نفسها التي ينضم فيها المقاتلون في عمليات التمرد الأخرى، إذ التحق المقاتلون المحليون في عضوية الجماعات

---

١٣٢- يلي المقاتلون المحليون النداء للحصول على راتب ثابت أو الدفاع المجتمعي كأسباب للانضمام للجماعة في البداية، وتؤثر الأسس الأيديولوجية للقيادة العليا وتشكل عملية اتخاذ القرارات الاستراتيجية.

١٣٣- أصدرت القاعدة في شبه الجزيرة العربية سلسلة من مجلة صادرة باللغة الإنجليزية بدأت منذ صيف 2010 وترتكز على وضع المرر الديني للهجمات والأدوات اللازمة للقيام بالهجمات باللغة العامية والمتاحة للجمهور، وقد استحدثت موضوع "الجهاد مفتوح المصدر" الذي هو مستمر حتى الآن، وقد اعتمدت العديد من الهجمات المستوحاة من داعش على دعاية القاعدة في شبه الجزيرة العربية جزئياً، وما تزال قيادة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية تدفع إلى شن هجمات "مستوحاة" في الغرب، وإن تصريحات حمزة بن لادن الصادرة عن تنظيم القاعدة في عامي 2016 و2017 دعا فيها المسلمين في الغرب إلى حمل السلاح.

السلفية-الجهادية المحلية؛ لأنها تقدم لهم أشياء مادية بالمقابل. وتساوفاً مع ذلك ينضم البعض إلى تلك الجماعات من أجل الحصول على المال، الذي يذهب بدوره لدعم الأسر أو لدفع الصداق (مهر الزواج)، والبعض يفعل ذلك من أجل الدفاع عن منازلهم، حيث إن الجماعات السلفية-الجهادية هي في وضع أفضل لتوفير الحماية لهم. وقد يقاتل البعض الآخر اعتراضاً على الحكومة أو مناهضة قوة أخرى معارضة تعمل على ارتكاب مظالم محلية؛ ومما يعزز وتيرة الانضمام إلى الجماعات السلفية-الجهادية أنها لا تتطلب توافق أيديولوجي في عضويتها<sup>١٣٤</sup>. لكن مع ذلك فإن الاشتراك الأيديولوجي بالسلفية-الجهادية يزداد انتشاراً في مستويات القيادة العليا لهذه الجماعات المحلية؛ وبالحصول على قدرة القاعدة السلفية-الجهادية على تجنيد المقاتلين المحليين، ونشر قوة كبيرة لدعم الأهداف قصيرة الأجل تسهمان في زيادة قوة الحركة السلفية-الجهادية .

وقد أعاد بعض المعتدلين والسياسيين السلفيين حساباتهم بشأن مواقفهم حيال استخدام العنف ويروونه الآن شرطاً من شروط الدفاع عن النفس، وقد أفضى ضيق المجال في الساحة السياسية في العديد من الدول العربية -ولاسيما مصر- إلى بلورة خيار أما التحلي عن المعتقدات أو حمل السلاح، أما بالنسبة للسلفيين الآخرين -كما هو الحال في ليبيا أو اليمن- فإن نتائج الحروب الأهلية تؤثر على مستقبلهم، ففي ليبيا قد يتصرف السلفيون، الذين كانوا يتبنون النهج الهادي على أساس الشعور بالتهديد الذي يشكله أحد أصحاب النفوذ القيايين بسبب تحالفه الوثيق بالحكومتين المصرية والإماراتية. أما في اليمن فقد هاجمت حركة الحوثيين اليمنية السلفيين مباشرة واحتجزتهم، أو أحرقت منازلهم، وأوضحت أن السلفية ليست مقبولة في ظل النظام الحوثي؛ لذا فإن المقاتلين السلفيين ورجال الدين قد لا يعتقدون بضرورة استخدام الصراع المسلح لإقامة نظام إسلامي حقيقي، ولكن يبررون العنف من أجل الدفاع عن النفس؛ الأمر الذي يضيف مصدراً آخر للتجنيد للقاعدة السلفية-الجهادية، ومن المؤكد أن بعض هؤلاء السلفيين الذين تم تشييدهم هم على الأغلب يقاتلون من أجل رؤية موسعة لتشكيل الدولة تضم حكومة إسلامية حقيقية تتفق مع أعمالهم في الحركة السلفية-الجهادية، وإن تشييدهم إلى القاعدة السلفية-الجهادية قد يزيد شرعيتها المحلية، ويعمل على تقديم مزيدٍ من الدعم المحلي لكفاح الحركة السلفية-الجهادية.

إن الزيادة في عدد الجماعات الفعلية -التي تشكل جزءاً من القاعدة السلفية-الجهادية- وعدد المقاتلين الذين هم أعضاء في تلك القاعدة، لا تمثل القوة الكاملة للحركة اليوم، فقد كان عدد كبير من الجماعات يعمل كجزء من القاعدة في التسعينيات من القرن الماضي، إلا أن الحركة السلفية-الجهادية كانت ضعيفة للغاية، وقد تغير عدد الجماعات بسبب الاستراتيجيات المتعمدة لتوحيد الجماعات تنظيمياً ومن ثم توزيعها، وإن توحيد المنظمات وتوزيعها من دون أي تغيير في برنامجها لن يؤثر على القوة الشاملة للقاعدة السلفية-الجهادية، وبالمثل أيضاً قد يتضخم عدد

المقاتلين في صفوف تنظيم القاعدة، ولكنه لا يحقق بالضرورة الهدف السلفي-الجهادي المتمثل بإخضاع الأمة للإسلام، وقبول الإسلام السلفي-الجهادي.

### دعم القاعدة السلفية-الجهادية

تعد بداية الدعم الشعبي الواسع للسلفية-الجهادية التغيير الوحيد الأكثر أهمية الذي عزز الحركة السلفية-الجهادية، فقد كانت القاعدة السلفية-الجهادية معزولة عن المجتمع وتعرض للقمع من قبل الحكومات) على مدى عقود من وجودها، ثم بدأت المجتمعات السنية تتسامح مع وجود الجماعات السلفية-الجهادية، وقبلت في بعض الحالات أشكالاً قاسية من الحكم السلفي-الجهادي؛ وهذا التغيير في الدعم الشعبي انتشل القاعدة السلفية-الجهادية من عزلتها عن المجتمع، ولم يحدث ذلك إلا بسبب تغير الظروف المعيشية للسكان السنة.

يزرح السكان السنة تحت وطأة ظروف التهديد اليومي للأفراد بالبقاء أو الأفق بمستقبل أفضل، إذ إن العديد من الدول العربية السنية -التي تخصص الكثير من مخاوفها على الأمور المتعلقة بالسياسة الداخلية أو تركز على التهديد المتزايد من إيران- لم تتمكن من ملء الفراغ في الحكم، أو حينما أرادت التدخل فعلت ذلك بطريقة عملت على تفاقم محنة السكان أنفسهم التي تسعى لمساعدتهم. وكل الدول الإقليمية تقريباً -من الساحل وصولاً لجنوب آسيا- تفتقر إلى القدرة على التصدي بشكل ملائم للتهديدات المعقدة التي تواجه النظام الدولي الآن. وحينما سعت الدول الغربية -ولاسيما الولايات المتحدة وفرنسا- إلى إيجاد حلول سريعة لضمان مصالحها القومية قصيرة الأجل، فقد تركت المشكلات الصعبة من دون حل، وهذه المظالم هي التي تقود العديد من عمليات التمرد اليوم، والفراغ الحكومي والتهديدات العسكرية المباشرة إلى السكان السنة المحليين جعلهم معرضين للخطر.

إن القاعدة السلفية-الجهادية في وضع فريد يمكنها من استثمار هذه الظروف والاستحواد على الدعم الشعبي من السنة، وهي تصور نفسها كمدافع عن السنة ضد الشيعة، وإيران، والغرب وروسيا، وغيرها. وإن قرارات السياسة الأمريكية -ولاسيما تلك المتعلقة في سوريا التي تم اتخاذها لمنع تورط الولايات المتحدة في الصراعات المحلية- تغذي الرواية المتعلقة بالحقيقة التي مفادها أن الولايات المتحدة لا تهتم بالسنة أو ما هو أسوأ، هي -أي الولايات المتحدة- تدعم -وبنشاط- الذين يعتقدون على السنة. وتتعض الجماعات السلفية-الجهادية في فراغ السلطة المصحوب بعمليات تمرد نشطة كتلك الموجودة الآن في العراق، وسوريا، والصومال، ومالي، ونيجيريا، وأفغانستان، وأجزاء من جنوب آسيا، وتتعاظم قوة كل من تنظيم القاعدة داعش على السواء، حينما تكون الجماعات المحلية جزءاً من شبكتها العابرة للحدود الوطنية.

ونادراً ما تكون المواءمة الأيديولوجية داخل المجتمعات المحلية شرطاً مسبقاً لتقديم دعم القاعدة السلفية-الجهادية، وتتمكن الجماعات السلفية-الجهادية من النفاذ إلى أوساط السكان من خلال المظالم التي يشتركون فيها؛ من أجل زيادة صدى أيديولوجيتها السلفية-الجهادية، وأن خيبة الأمل الناجمة عن العمليات السياسية والمظالم المتصورة تفضي إلى تماثل بين جهود الجماعات السلفية-الجهادية والجماعات المتمردة المحلية، وما تزال الدعوة تشكل عنصراً أساسياً من أنشطة الجماعات السلفية-الجهادية، فهي تعمل على بث خطبها أو تعاليمها بالتساوق مع تقديم موارد أخرى مثل المساعدة الإنسانية، والتدريب العسكري؛ وهذه الممارسة تعدُّ عنصراً حاسماً في عمل الجماعات المحلية المنطوية للقاعدة السلفية-الجهادية من أجل ترسيخ قبولها المحلي، ويعمل بهذه الطريقة تنظيم القاعدة على وجه الخصوص؛ الأمر الذي يمكنه من بناء شبكات محلية في مجتمعات أخرى خارج المنظمة.

وتزج الجماعات السلفية-الجهادية نفسها في التمرد المحلي من أجل الاستحواذ عليه، وتضع نفسها في قيادة الثورة، إذ إن تجاربها السابقة في ميدان القتال والقدرات العسكرية التي تتمتع بها -من قدرات شن الهجمات غير المتناسقة إلى مناورات الوحدات الصغيرة- تساعد على أن تكون هذه الجماعات شريكاً ذا قيمة، وأن إستعداد السلفيين-الجهاديين للموت من أجل قضيتهم -وهي الرغبة التي لا يشاركها فيها المتمردون الآخرون دائماً- يعمل على زيادة هيمنتهم<sup>١٣٥</sup>. وتدير الجماعات السلفية-الجهادية معسكرات تدريب عسكرية، وتعمل على تحسين مهارات مقاتليها وتسعى إلى توسيع التنسيق في ساحة المعركة، وهي تنتشر أيضاً في الخط الأمامي بغض النظر عن أماكن تواجدها؛ نظراً لأن معركتها لا ترتبط بالأرض، على خلاف المليشيات المحلية أو القبلية.

إن قدرة القاعدة السلفية-الجهادية على الاستجابة السريعة للتطورات المحلية ومتابعة أنشطتها محلياً، والتلبية الفورية لاحتياجات السكان الذين تسعى لكسبهم، يساعد على بناء الدعم الشعبي؛ إذ تحدد الجماعات السلفية-الجهادية متطلبات الشعب، ثم تعمل على تلبيةها لتلقي الدعم من القاعدة الجماهيرية الأوسع، إذ توفر الجماعات العابرة للوطنية أو حتى الجماعات الإقليمية الأكثر استقراراً الوسائل للقاعدة السلفية-الجهادية لتمكينها من تلبية احتياجات السكان، وتوفير الموارد بشكل بنحو على مستوى القاعدة الشعبية في سياق دأبها في بناء الدعم الشعبي، فهي تضمن الحكم، والأمن، والخدمات، الاجتماعية حيث يوجد فراغ في السلطة، مما يوفر بدوره الاستقرار اليومي الذي يسعى إليه العديد من السكان. غير ان الفائدة التي تجنيها الجماعات السلفية من ذلك هي استخدام الحكم والأطر القانونية التي تستند إلى الفهم المحافظ للشريعة، وتستثمر موقعها في السلطة لتحويل بني الحكم من نظام تعليمي إلى نظام المحاكم، وهي تضمن الأمن المحلي سعيًا

١٣٥ - تم توثيق مثابة المقاتلين السلفيين الجهاديين على نطاق واسع عبر عمليات التمرد، ويؤمن هؤلاء الأفراد بأن الموت في أثناء القتال في سبيل الله يضمن لهم دخول الجنة.

لاحتكار القوة، ولتضع نفسها في المواقع التي تكون فيها قادرة على التحكم بالسكان في المستقبل. إن النهج البراغماتي والتدرجي الذي تبنته القاعدة السلفية-الجهادية<sup>١٣٦</sup> لإقامة العلاقة مع السكان، ومن ثم تعزيز الدعم الشعبي كان فعالاً، فالتسامح الذي تظهره المعارضة السورية المسلحة الآن للجماعات السلفية-الجهادية هو مثال واضح على الكيفية التي قامت بها القاعدة السلفية-الجهادية ببناء علاقتها مع السكان<sup>١٣٧</sup>، فالتحول في المعارضة السورية حدث ببطء على مدى سنوات عديدة، ولم يكن سهلاً أن يحدث من دون الدعم الشعبي، للجماعات السلفية-الجهادية على الأقل ضمناً. إن المظالم المناهضة للحكومة ووقوع السكان تحت وطأة الخطر والطائفية وحالة الإستقطاب في المجتمع، كانت جميعها ظروفًا ساعدت على القاعدة السلفية-الجهادية على تحقيق هذا الهدف.

وما تزال أمام القاعدة السلفية-الجهادية مهمة جسيمة حتى في ظل الظروف التي سهلت توسعها ودفعت السكان إلى التسامح مع التطرف الأيديولوجي الذي تبناه، إذ إن أيديولوجية الحركة العالمية وأهدافها تتناقض مع معتقدات معظم السنة وأفكارهم، وإن قبول الجماعات السلفية-الجهادية ضمن السكان السنة اليوم واندماجها في المجتمعات التي كانت فيها مهمشة ومعزولة هو أمر يمكن معالجته، ومع ذلك فإن علاقة تنظيم القاعدة مع السلفية-الجهادية والاستراتيجية التي يتبناها في تحويل المجتمعات الإسلامية سيضيف تحدياً آخر. إلا أن تنظيم القاعدة -بوصفه حركة عالمية- هو على أهبة الاستعداد للاستفادة من قوة القاعدة-السلفية الجهادية والانخراط بنحو كامل في أوساط بعض قطاعات السكان السنة.

١٣٦- يقي داعش استثناءً.

١٣٧- كانت المعارضة السورية المسلحة علمانية جداً حينما بدأت الحرب الأهلية، وقد زجت القاعدة نفسها عمداً في المعارضة، وبمرور الوقت غيّرت طبيعة الجماعات. للمزيد حول المعارضة السورية المسلحة عام 2012 ينظر: Joe Holliday, "Syria's Armed Opposition," Institute for the Study of War, March 2012, <http://www.understandingwar.org/report/syrias-armed-opposition>. For a 2015 laydown of the Syrian armed opposition, see Jennifer Cafarella, "Syrian Opposition Guide," Institute for the Study of War, October 7, 2015, <http://www.understandingwar.org/backgrounder/syrian-opposition-guide>. For how Jabhat al Nusra worked through the opposition, see Jennifer Cafarella, Harleen Gambhir, and Katherine Zimmerman, "Jabhat al Nusra and ISIS: Sources of Strength," American Enterprise Institute, Critical Threats Project, and Institute for the Study of War, February 11, 2016, <https://www.criticalthreats.org/analysis/jabhat-al-nusra-and-isis-sources-of-strength>.

## تغيير نهج مكافحة الإرهاب

لا يمكن للولايات المتحدة أن تشق طريقها للخروج من حربها مع تنظيم القاعدة، وداعش أو حتى الحركة السلفية-الجهادية العالمية، ولا يمكنها كسب المعركة أيضاً ببساطة عن طريق ملاحقة الجماعات التي تشكل تهديداً أو في مواجهة الأيديولوجية السلفية-الجهادية. ان قوة الحركة السلفية-الجهادية تكمن في علاقتها مع السكان السنة -أي مع الأمة- فعلى الرغم من أن القادة وملاذاتهم الآمنة وقدرتهم على شن هجمات إرهابية عابرة للحدود الوطنية كلها عناصر عامة للحركة العالمية، ولكن القضاء على هذه المكونات من دون كسر العلاقة بين الحركة والسكان هي لعبة خاسرة؛ لذا يجب أن تركز استراتيجية مكافحة الإرهاب الأمريكية على فصم عرى الروابط بين الحركة السلفية-الجهادية والسكان السنة.

إن الاعتقاد بأن القضاء على فرد بعينه أو جماعة بعينها سيعمل على تضييد التهديد، هو الذي ضلل الولايات المتحدة عن التركيز على إذلال تنظيم القاعدة وداعش وهزيمتهما أو تدميرهما؛ إذ كرس الجيش الأمريكي جهوده على القضاء على قيادات وخلايا تنظيم القاعدة وداعش، وقد نجح بشكل كبير في هذه المهمة<sup>١٣٨</sup>، لكن الجدل الدائر بشأن من هو تنظيم القاعدة أو داعش ينبع من ضرورة التحديد وبوضوح أي الأهداف شرعية، فالقرار الصحيح بعدم محاولة قتل كل فرد مرتبط بتنظيم القاعدة وداعش قاد الولايات المتحدة لتعريف هزيمة العدو على وفق قيود السياسة الخاصة بها.

ولكن استهداف الأفراد والجماعات لم يؤدي إلى نجاح دائم، إذ إن العدو تكيف مع المتغيرات أو يبدو كذلك، ليظهر في مكان جديد، الأمر الذي أثبت قدرته على الصمود أمام الضغط العسكري المباشر وغير المباشر، وقد يقضي تجاهل الضغط الأمريكي على مفاصل محددة من الحركة السلفية-الجهادية على قوتها المتنامية في أماكن أخرى، وإن الولايات المتحدة ترتكب الخطأ نفسه بتعاملها مع داعش، فالمعركة الحالية ضد داعش هي انحراف عن الحرب ضد الحركة العالمية، وتناهى عن الحرب التي يجب أن تخوضها الولايات المتحدة، إذ يمكنها أن تكسب المعركة ضد داعش لكنها ستخسر المعركة الأكبر.

إن الطريق للنصر يبدأ بالتركيز حيث يركز العدو، فطالما تقاوت الحركة السلفية-الجهادية من أجل كسب الدعم الشعبي، يتعين على الولايات المتحدة أن تفعل ذلك أيضاً، وفي الوقت الذي

١٣٨ - على سبيل المثال ناقش الجنرال ستانلي مكريستال تطور آلة قتل دقيقة داخل الجيش الأمريكي في العراق وكيف أدرك ان العدو ما يزال يكسب على الرغم من وجود هذا الآلة.

Stanley McChrystal, My Share of the Task: A Memoir (New York: Penguin Group, 2013).



توفر فيه القاعدة السلفية-الجهادية الحماية والاستقرار والمساعدة للسكان المهددين والمتضررين، تقوم الولايات المتحدة وشركاؤها بتقديم الأسلحة لقتال الحكومة، وهي تركز على قتل قطاعات من القاعدة السلفية-الجهادية، والبعض منها هي القوى نفسها التي يعتمد عليها السكان، وحتى حينما يكون التركيز على إعادة الحكم، كان التوجه الأمريكي هو الاعتماد على إمكانية الرجال الأقوياء الذين يقدمون الوعد بالاستقرار. فالاستقرار - هو مرادف للاستبداد هنا- الذي قاد المظالم نفسها التي مكّنت السلفية-الجهادية في المقام الأول، والاستقرار الذي جلبه الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى مصر - حيث تزايدت الهجمات الإرهابية الآن- هو مثال على زيف هذا الوعد.

إن عكس مسار الظروف التي تسهل العلاقة بين القاعدة السلفية-الجهادية والسكان المحليين يجب أن يكون أولوية بالنسبة للولايات المتحدة، وقد تعاضم نفوذ القاعدة السلفية-الجهادية في سياق الحروب الأهلية المتعددة والصراعات؛ لأن الحروب قد حشدت السكان السنة وأدت إلى وجود متطلبات الدفاع لا يستطيع السكان المحليون النهوض بها وحدهم؛ لذا فإن الحروب المحلية والصراعات - التي تقع على ما يبدو خارج نطاق مصالح الولايات المتحدة- مثل التنافس على شمال مالي، قد عززت في الواقع القاعدة السلفية-الجهادية؛ وإن كسب هذه الحروب - وهي مهمة ليست سهلة- يمرّ عبر فك ارتباط السكان بالقاعدة السلفية-الجهادية وهو أول خطوة في سبيل تقييد قدرة القاعدة السلفية-الجهادية على زج نفسها في أوساط السكان وتوليد الدعم، ويجب أن يتم ذلك بطريقة لا تؤدي إلى مزيد من المظالم التي تدفع السكان لمواصلة المقاومة.

ولا تعد حلاً لذلك الأمر؛ الحلول العاجلة على الأرض فالشركاء المحليون هم خيار جذاب لأنهم موجودين بالفعل وعادة ما تم تحشيدهم، وهم يجعلون من أنفسهم أكثر جاذبية من خلال تقديم أنفسهم كقوة محلية تريدها الولايات المتحدة أن تكون شريكاً لها. وقد أفتعت الولايات المتحدة نفسها بأن العمل من خلال الشركاء أفضل من العمل بنحوٍ منفرد، لكن هذا الأمر لا يصلح دائماً؛ إذ إن الاعتماد على شركاء غير قادرين أو حتى سيئين يفضي إلى مزيدٍ من المشكلات ويجعلها تتفاقم على نحو أسوأ مما يقوم الشريك بحلها أحياناً، وكما هو الحال مع الشراكة مع الأكراد السوريين ضد داعش الذي نقر العرب السنة الذين يرفضون الرؤية السياسية الكردية أو حتى الحكومة النيجيرية في ظل رئاسة غودلاك جوناثان الذي عززت أفعاله تمرد بوكو حرام، فالشركاء السيئون قد يلجأون بدلاً من ذلك إلى دمج القاعدة السلفية-الجهادية مع السكان المحليين بطريقة تجعل الفصل بينهما أكثر صعوبة، وقد تفاقم من النزاعات أو المظالم بدلاً من الحد منها، وقد تعمل على تغذية الظروف التي تسهل توسيع القاعدة السلفية-الجهادية من خلال تمكينها من بناء الجسور مع قطاعات معينة من السكان أو الاندماج في المجتمع.

ويجب أن تقود السياسات الأمريكية الشرعية، وأن تستجيب إلى متطلبات الحكم في

المناطق التي تخترقها القاعدة السلفية-الجهادية أو التي تكون مكشوفة لها -ضعيفة أمامها-فغياب الدولة في كثير من الحالات يعمل على تعقيد المشكلات الصعبة القائمة، لأن الآلية التي تم تنفيذ السياسات فيها غير موجودة تاريخياً، وفي جميع الحالات باستثناء الحالات الأكثر تطرفاً، ما تزال هناك إدارات محلية أو بنى حكومية يمكن أن تكون كفتوات ناجعة مع تقديم ما يلزم من الضمانات، بأن هذه الإدارات تقبل إعادة إنشاء نظام حكم وطني قائم على الدولة، وأنها لا تعمل على مفاقمة المظالم، ومثل هذه الحلول تسمح بمتابعة استراتيجية تركز على السكان وتعمل على إزالة الظروف التي تقوي من القاعدة السلفية-الجهادية التي تعود على السكان بمزيد من الاندماج.

إن الحركة السلفية-الجهادية هي في جوهرها تمرد عالمي، وان قوتها ومركز ثقلها يكمن في علاقتها مع الأمة -وهم السكان السنة- وكانت هذه العلاقة قاصرة؛ لعقود بسبب الوسائل التي طرحتها الحركة السلفية-الجهادية في سبيل إعادة تأسيس الخلافة الإسلامية التي لم تكن مقبولة، وإن الضغوط على السكان اليوم -وهي التهديد لوجودهم- حول حسابات السكان إلى دائرة القرار قصير الأمد من أجل البقاء، وقد مكّنت هذه الظروف القاعدة السلفية-الجهادية من بناء دعم شعبي، ومن ثم تعزيز الحركة العالمية؛ لذا فالسبيل الوحيد للنصر هو مكافحة هذه الظروف مع التركيز على السكان وفصم عرى الروابط بينهم وبين والقاعدة السلفية-الجهادية؛ وخلاف ذلك سيؤدي إلى أن يقاتل جيل آخر من الأمريكيين بالحرب نفسها ويتكبدون الخسارة عينها.

| معجم المصطلحات            |  |
|---------------------------|--|
| الخلافة                   | سلطة إسلامية يرأسها زعيم للمجتمع الإسلامي بأكمله وهو الخليفة الديني للنبي محمد، وتنبأ النبي بعودة الخلافة بعد حقبة مظلمة.  |
| فرض عين                   | هو عمل واجب على كل مسلم.   |
| فرض كفاية                 | هو عمل واجب على كل الأمة لكن ليس على الأفراد بعينهم.   |
| الحديث:                   | وهو أقوال النبي محمد وأفعاله وإقراره.  |
| الإجماع:                  | وهو اتفاق الأمة على قضايا الفقه الإسلامي.  |
| الجاهلية:                 | وهي الجهل بالله.   |
| الجهاد:                   | تستخدم هنا لاستخدام العنف في سبيل الله.  |
| الخلفاء الراشدون          | الخلفاء الأربعة الذين جاءوا بعد النبي محمد مباشرة (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي) الذي بعهدهم توسعت الأقاليم إلى أبعد من الجزيرة العربية للتضمن ما يعرف اليوم بإيران، وسوريا، والأردن، ومصر، وأجزاء من تركيا، وليبيا. |
| السلفية                   | وهي الإسلام السني المتشدد الذي يؤمن بضرورة العودة إلى أسس الدين الموجود بنحوٍ كامل وشامل في القرآن والحديث.  |
| القاعدة السلفية-الجهادية: | وهي شبكة مادية من الناس والجماعات والمنظمات الذين يشتركون في الأيديولوجية السلفية-الجهادية وتعمل للسعي لتحقيق الأهداف الشاملة.   |
| الحركة السلفية-الجهادية:  | وهي حركة أيديولوجية تؤكد أن التزام المسلمين بالدين لاستخدام القوة المسلحة من أجل إقامة دولة إسلامية حقيقية بموجب التفسير السلفي للشريعة.   |
| الشهادة                   | إعلان الإيمان بالإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله).   |

|  |          |
|--|----------|
| القانون الديني الإسلامي                    | الشريعة  |
| وهي ممارسة تصف المسلمين الآخرين بالمرتدين. | تكفير    |
| المجتمع الإسلامي.                          | الأمة    |
| المقاطعة (المحافظة).                       | الولاية  |
| جمع ولاية.                                 | الولايات |
| وهي الجهل بالله.                           | الجاهلية |

### نبذة عن الكاتب:

**كاترين زيمومان** : هي زميل باحث في معهد المشروع الأمريكي ومديرة الأبحاث في مشروع التهديدات الحرجة، ولأنها من كبار المحللين المتخصصين بتنظيم القاعدة، فهي درست كيفية عمل الشبكة الإرهابية على الصعيد العالمي، ويركز عملها أيضاً على الجماعات التابعة للقاعدة في منطقة خليج عدن وفي غرب وشمال أفريقيا، وهي متخصصة في تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، وفضيل القاعدة في اليمن، وحركة الشباب التابعة لتنظيم القاعدة في الصومال.

وقد أدلت بشهادتها أمام الكونجرس بشأن التهديدات التي تواجه الأمن القومي الأمريكي المنبثقة من تنظيم القاعدة وشبكته، وقد نشرت تحليلاتها على نطاق واسع بما في ذلك سي أن أن، وفوكس نيوز، وهيل وهافينغتون بوست، وول ستريت جورنال، والواشنطن بوست.

## شكر وتقدير

إن النتائج المقدمة في هذه الورقة استفادت بنحو كبير من الرؤى التي أثرت خلال المحادثات وفرق عمل الخبراء، واستمدت من البحوث المنشورة في العديد من التخصصات ذات الصلة. ولا يسمح المقام بأن أشكر الجميع، ولكن أتقدم بالشكر لأولئك الذين شاركتم معهم في هذه القضايا وأولئك الذين أعتد على عملهم، وأشكر أيضاً فريدريك كاغان على وقته وطاقته التي خصصها لنقد الكثير من التكرار في هذه الورقة. وقد ساهم كل من كيمبرلي كاغان وجيسكا لويس ماكفيت وماري هايبيك بشكل كبير في فهمي لتنظيم القاعدة في العراق والدولة الإسلامية والقاعدة كمنظمة، وأنا ممتنة جداً ومدينة لإيميلي إستل على مساهمتها البحثية وقدرتها العالية على إدارة فريقنا البحثي؛ التي جعلت هذه الورقة ترى النور، وكذلك إلى هيذر ملاكاريا لدعمها وجهدها لرؤية هذا والعديد من المشاريع الأخرى وصولاً إلى الانتهاء منها. أنا أقدر كثيراً التقييمات من الفريق المدرب في مشروع التهديدات الحرجة التابع لمعهد المشروع الأمريكي، ويجب أن أشكر أيضاً هرتوغ لدراسات الحرب المتقدم من كانون الثاني لجعلي أفكر في الأساسيات. وأخيراً شكراً لدانييل بليتكا على كل دعمها وفريق اتصالات معهد المشروع الأمريكي لمساعدتي على تبادل الأفكار الخاصة بي.